19 me, année No 919

Le Caire 12-2-1951

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ـص
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩١٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ٤ جمادى الأولى سنة ١٣٧٠ — ١٢ فبراير سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

الدين والسلوك الانسانى

للأستاذ عمر حليق

— ٣ —

لن يستطيع الباحث أن يمعن فى دراسة الدين والسلوك الإنسانى دون أن يتسلح بالنظريات والشطحات الفلسفية بالإضافة إلى تسجيله للظواهر الواقعية فى علاقة الفرد بالمجتمع

والباحث يجد نفسه والحالة هذه كدقات الساعة يميل تارة إلى النظريات وطورا إلى الواقع، فهذا نهج أفل مايقال فيه أنه سليم

فنظرة الماركسية إلى الدين ـ وهى نظرة مادية فى كليتها ـ لا تعترف بتلك الناحية الأصيلة فى فلسفة الدين وهى ما اصطلح الناس فى الغرب على تسميته بالاختبار الدينى (١). والذى يؤكد صلاح هذا النهج فى دراسة الدين كما شرحه الماركسيون بأنه وليد الأوضاع الاجتماعية ؛ فمثلا فى سلوك الطبقات التى تمارسه والتى هى بدورها متأثرة مسيرة بنفوذ ذوى المصالح المادية من رجال الدين ومن يلوذ بهم من القوى والعناصر الاقتصادية التى يربطها بالنظم الدينية روابط تقليدية متينة (٢). فى طبيعة التعاليم الدينية (وفى الإسلام على وجه الخصوص) دعوة سافرة إلى تقييد الحد من سلطات المتاجرين باسم الدين والذين يدورون حولهم من أصحاب المصالح الاقتصادية والسياسية ؛ وخلو الإسلام من الكهنوت قد جعل طبيعة التعاليم الدينية فى متناول الناس، بها يستهدون دون الحاجة إلى الوساطة، ومنها يستمدون سياسة عملية لتحسين الأوضاع الاقتصادية وتحقيق المساواة والعدالة فى العلاقات الإنسانية وقد تعرض ماكس ويبر لبحث هذا فى أسلوب منطقى فريد فى كتابه عن « التاريخ الاقتصادى العام » (٣)

وتاريخ الإنسانية سواء أكان سياسيا أم اقتصاديا أم اجتماعيا ملىء بالحوادث التى لعب الدين فيها دورا إيجابيا فى صميم المصلحة المادية للكثرة من الناس وكم من عالم دينى حمل لواء الإصلاح السياسى والاقتصادى !

وفوق ذلك فإن للدين مزية تتعطش المجتمعات (والغربية منها على وجه الخصوص) لتحقيقها فى هذا العصر القلق المتفكك وأعنى بها التكافل الاجتماعى . وتاريخ الإسلام الاجتماعى فى هذا المضمار فريد ؛ فقد صهر الشعوب المجتمعات التى اعتنقت فى وحدة عاطفية واجتماعية وسياسية (ومن ثم اقتصادية) على نحو فشل

١) كتاب وليم جيمس عن « ألوان الاختبار الدينى » من أمتع ما كتب فى هذا الموضوع . فهو تسجيل للشطحات الصوفية فى إطار الرائعة المستمدة من فلسفة الذرائع (البرجماتزم)

٢) راجع البيان الشيوعى

٣) راجع ماكس ويبر
Max weber, General Economic History

الفكر السياسي المعاصر في تحقيقه في عصبة الأمم المنحلة سابقا وفي هيئة الأمم المتحدة في الآونة الحاضرة

وهنا يجدر بنا أن نتريث قليلا لنتساءل عما إذا كان الدين أمرا يختص بالفرد دون المجتمع وعما إذا كان السلوك الانساني هو سلوك سلبي أم إيجابي ، بمعنى أنه مقصور على علاقة المرء بربه دون علاقة المرء بمجتمعه

والجواب عن هذا التساؤل كان ولا يزال مثار نزاع . فالصوفية من المسلمين مثلا اتجهوا في أقوالهم وسلوكهم الديني إلى أن وظيفة الدين هي وظيفة سلبية . ولعل هذا ما استدعى نقمة بعض أئمة المسلمين قديما وحديثا على الصوفية

ففي القرآن الكريم وفي الأحاديث النبوية وتراث السلف الصالح أجوبة عديدة على أن وظيفة الدين لا تقتصر على علاقة المرء بربه . والواقع أن طبيعة التعاليم الاسلامية تثبت وظيفة الدين الاجتماعية بجانب وظيفته الروحية؛ فهناك فقه إلى جانب تشريع . لقد اكتشف المسلمون ذلك وعملوا به . وكان الرسول عليه السلام أول من جاهر به . والقصة التي تروى عن عمر بن الخطاب وكيف انتهر رجلا كان يلازم المسجد ليل نهار مثل آخر على انتباه الاسلام إلى هذه الوظيفة المزدوجة للدين ويخيل إلى أن الاتجاه الجديد في الفكر الغربي حول وظيفة الدين يحذو حذو الإسلام [٤]

وقد أخذ بذلك (فردريك هيجل) أحد جهابذة الفكر الغربي ودعاته الذي قال « إن ممارسة طقوس العبادة والصلوات أقوى من الناحية الإيجابية في توجيه السلوك الانساني من الشرائع والقوانين المدنية [٥] »

والواقع أن (هيجل) كان من أوائل من لفت النظر إلى وجود « المنطق اللولبي [٦] » في علاقة النظريات والحقائق الواقعة في موضوع الدين ، فقال إن هناك تواكلا مشتركا بين النظم التي لها كيان إيجابي في المجتمع كالعائلة والقبيلة والدولة والشعب، وكلها حقائق اجتماعية ملموسة ، وبين النظم الفكرية كالقانون والعلوم والدين . فالكيان الإيجابي المحسوس هو كالنظم الفكرية ـ وفي طليعتها الدين وكلاهما جزء من شجرة الحياة [٧]

فالإنسان في المجتمعات البدائية لا يكتفي بأن يرث النظم الفكرية الدينية عن أسلافه، وإنما يسعى ما استطاع لأن يتخذ منها أسلحة يواجه بها مشاكله الدنيوية ، هذه المشاكل التي تختلف طبيعتها باختلاف التطور الحضري ومن هذا نتبين أمرين :

أولهما : أن السلوك الديني غريزة طبيعية يعتمل إلى نداها الفرد لأنها خلقت فيه

ثانيهما : أن هذه الغريزة تتخذ في بعض الأطوار شكلا يجعل منها ذخيرة ثقافية تتحكم في الأوضاع الاجتماعية بالإضافة إلى كونها ذخيرة روحية تتحكم في علاقة المرء بربه سواء أكان هذا الرب صنما أم عجلا كما هو الحال في المجتمعات البدائية ، أم إلها فردا صمدا كما هو في الأديان التوحيدية

وإلى الفيلسوف الاجتماعي الفرنسي (أميل دوركهايم) يعود فضل كبير في دراسة هذه الوظيفة المشتركة (الروحية والدنيوية) للدين دراسة علمية على ضوء ما ألم به من معرفة بالمجتمعات البدائية وتحليله للمجتمعات الحضرية [٨]

لقد ثار دوركهايم ومعه (باريتو) [٩] على الفلسفة الواقعية التي سادت أوربا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر التي كانت ميالة إلى الحط من قيمة الدين إثر انتشار الفلسفة الداروينية (نسبة إلى داروين) والماركسية في أوربا ، وفلسفة الذرائع (البرجماتزم) في أمريكا

قام دركهايم ـ وإلى حد ما باريتو ـ بدراسة وظيفة الدين المزدوجة على نهج جديد ، فلم يعتمد دركهايم على التفلسف في دراسة الدين ولا على استنتاج الشواهد العلمية من التاريخ الديني،

---

٤) راجع J. Macmorry. The Structure of Religious Experience

٥) Fredrich Hegel, Lectures in philosophy and Religion

٦) Circular Reasoning

٧) النظريات الحديثة في علم الانتروبولوجيا زادت في إثبات صواب الرأي على ضوء الدراسات التي قام بها أمثال (مالينوفسكي) وروث بنديكت ومرغريت ميد وبواز وغيرهم

٨) راجع E. Durkheim, Les Formes Elementaire de la Vie Religieuse

٩) الفيلسوف الإيطالي Vilfredo pareto Trattata di Sociologia Generale

وإنما لجأ إلى دراسة الموضوع دراسة مفصلة فى مجموعة إنسانية معينة من سكان استراليا الأصليين

ولن يعنينا فى هذا البحث أن نستعرض تفاصيله ودراسته، وإنما يهمنا أن نتعرف استنتاجاته الرئيسية

واستنتاجات دركهايم على نوعين: واحدة تعالج فلسفة المعرفة ١٠) وأخرى تعالج علم الدين الاجتماعى. وكلاهما عند دركهايم متواكل متشابك

ورسم دركهايم خطين فى مستهل دراسته فيطلق على الأول ما سماه «قدسى» ويطلق على الثانى «دنس» ويضيف دركهايم تحت هذين الخطين أشياء ملموسة محسوسة. وهذا التصنيف لا يحدد الصفات الجسمانية بطبيعة تلك الأشياء، وإنما يحصر ذلك التحديد فى مفهوم الناس لها ومبلغ تأثرهم بها وسلوكهم إزاءها

فالأشياء القدسية فى تعريف دركهايم هى تلك التى ينطوى مفهوم الناس لها على فضائل فريدة تجلب السعادة والنقمة. وسلوك الناس تجاه هذه الأشياء المقدسة لا يمكن أن يحسب فى عداد السلوك الاعتيادى، إذ أن له مزايا خاصة وفيه الكثير من الاحترام الخالص الأصيل

والناس لا تستخدم الأشياء المقدسة فى الشؤون الاعتيادية وإنما تلجأ إليها فى الأزمات التى لا تمت إلى المادة إلا بصلة بعيدة

والشؤون الدنسة عند دركهايم هى تلك التى ترتبط ارتباطا وثيقا بالنشاط الاقتصادى المادى فى السلوك الإنسانى ١١)

فإذا قتل الهندى الأحمر من سكان استراليا الحيوان المقدس ليأكله فإنه يفعل ذلك أثناء الطقوس الدينية فقط. والناحية المادية فى هذا العمل مرتبطة بالناحية المقدسة ولا دخل للمنفعة الاقتصادية المادية (أكل اللحم) فى هذا العمل إذ أنها لا تتوفر إلا عن طريق القداسة. وأكل لحم الحيوان المقدس لا يتم إلا فى ظروف من القداسة التى لها مواعيدها ومواسمها الزمنية الخاصة. وحول هذه القداسة حالات من الطوطمية تحددها وتتحكم فى سلوك الفرد إزاءها

والدين فى مفهوم الأقوام البدائية محصور العلاقة فى الأشياء المقدسة

ويصنف دركهايم الظواهر الدينية فى نوعين هما «العقائد» و «الطقوس»؛ فالعقيدة لون من التفكير، والطقوس نشاط عملى وكلاهما متشابك، فلا تتم معرفة الطقوس الدينية إلا بمعرفة العقيدة التى استدعت ممارستها واستوجبت القيام بها

والدين عند دركهايم نظام مستقر من العقائد، والطقوس تعيش عليها جماعة من الناس محورها بيت العبادة ومن يكون به من كهنة ورعية ١٢)

ويستنتج دركهايم من ذلك أن الدين الذى يتمكن تمكنا قويا متينا فى أتباعه لا يمكن أن تكون تعاليمه مجرد خيالات ورؤى لا تسندها الحقائق الواقعية ١٣)

وكلما ازداد تعلق الناس بتعاليم دينهم وطقوسه كانت تلك التعاليم أكثر صلة ووثوقا بالحقائق المادية فى العالم الذى يحيط به

ولعل هذا الرأى يلقى ضوءا على سر تعلق المسلمين بالتعاليم الجوهرية فى دينهم الحنيف طوال هذه الأجيال والقرون

وينتقد دركهايم بناء على هذه النظرية ما قال به بعض مفكرى عصره من أن وظيفة الدين هى الحياة الروحية التى لا تربطها بالواقع روابط وثيقة، وأن تعاليم الدين ما هى إلا انطباعات الإنسان عن طبيعة الأشياء المادية التى تحيط به

وركز دركهايم انتقاده لهذه النظرية فى أسلوب النقى المنطق فقال: لو أننا افترضنا أن تعاليم الدين ليست إلا انطباعات الإنسان عن طبيعة الأشياء المادية التى تحيط به كالعواصف والبراكين والخوارق الطبيعية، فكيف نفسر تعلق الكثرة من العلماء الذين حافظوا على سلوكهم الدينى مع أنهم استطاعوا تفسير طبائع الأشياء تفسيرا علميا مستندا إلى الاختبار والبحث والاستقراء؟ وعلوم النفس لم تفسر بعد تفسيرا عمليا مرضيا هذه الظاهرة التى تزداد رسوخا بتعمق العالم فى دراسة الكون ومعالمه

---

١٠) Epistomology

١١) Le travail est la forme emeale de l'activite protane

١٢) Durkheim, «Forme» Elementaires p,95

١٣) Epid P,3

واستنتج دركهايم من ذلك أن فى الدين عنصراً ثالثاً بالإضافة إلى عنصرى الروح والمادة. وأطلق دركهايم على هذا العنصر الجديد اسم (الحقيقة الاجتماعية)(١٤)

ومن ثم اندفع دركهايم فى دراسة الصلة بين الدين والكيان الاجتماعى فرأى أن الأشياء المقدسة (ومن ثم المثل الأخلاقية التى تبعث منها) لا تربطها بالمرء إلا روابط القداسة. فليست العبرة (فى رأى دركهايم) فى أن يعبد امرؤ شجرة أو عجلا أو شمساً أو قمراً أو إلهاً فرداً صمداً، إنما العبرة فى الفرد إزاء هذه المؤلهات، وامتثاله للقيم الروحية والأخلاقية التى تحيطها بهالة من القداسة. ورأى دركهايم فى نظرية الطبيعيين إلى الدين عجزاً دعياً فى تفسير الحقائق التى تتصل بالقداسة اتصالاً أصيلاً غريزياً. وكل ما فعله الطبيعيون أنهم وجهوا اهتمامهم إلى تفسير القداسة فى الشؤون الطبيعية كالعواصف والبراكين والزلازل وتأثر العاطفة الإنسانية بها وإحاطتها بهالة من «القداسة والألوهية» والشذوذ ندرة، والنادر لا حكم له

ووجه الضلالة فى تفسير الطبيعيين للسلوك الدينى أنهم أخطأوا إدراك الحقيقة فى مصدر القداسة والألوهية

فخواص العنف فى العواصف والزلازل والبراكين ليست الدافع الرئيسى لتقديسها فى المجتمعات البدائية. فالأشياء المقدسة ليست إلا رموزاً. وخواص الرموز أنها تعبير للأهمية والقيم والمعانى التى يواجهها الفرد فى نشاطه اليومى روحياً كان هذا النشاط أم مادياً

والصلة بين الفرد والرمز الذى يقدسه هى صلة اجتماعية بالإضافة إلى كونها صلة روحية. والفرد لا يتلمس معنى لهذه الرموز بقدر ما يطلب فيها ملاذاً مما استعصى عليه من الأزمات الروحية والاجتماعية

فليست العبرة إذن فى طبيعة الرمز المقدس؛ إنما العبرة فى المثل والقيم والمعانى التى اصطلح الناس على إلحاقها به

وعلى هذا المنطق يشرح دركهايم علاقة الطقوس الدينية بالحقائق الاجتماعية، فلا يهمه أن يتعرف على طبيعة هذه الطقوس وإنما يتشوق إلى إدراك القيم والمثل والمعانى العميقة التى تمثلها وترمز لها

وإصرار الطبيعيين على نعت السلوك الدينى بأنه خال من المنطق السديد يعود إلى التباس الأمر عليهم وخلطهم بين طبيعة الرمز وبين ما يرمز إليه من قيم ومثل ومعان روحية واجتماعية

ويستخلص دركهايم من ذلك أن العلوم الطبيعية لا تستطيع أن تدرك كنه الدين فى مجالاته الروحية والاجتماعية؛ لأن العلوم الطبيعية مادية لا تقنع إلا بالملموس والمحسوس. وفى نظام الكون وفى طبيعة النفس البشرية إحساسات ومشاعر لا تلمس لمساً. وهذا يفسر اتجاه الجهابذة من علماء الطبيعة والرياضيات نحو التفاسير الدينية فى أرقى مراحل البحث فى طبيعة الأشياء عندما يستعصى عليهم التفسير الشامل الإيجابى المقنع ١٥)

نيويورك (للبحث صلة) عمر حليق

١٥) اعترف بهذا مؤتمر علماء الذرة الذى عقد فى التاسع عشر من شهر ديسمبر ١٩٥٠ فى جامعة روشستر فى ولاية نيويورك؛ فقد أعرب أعضاء هذا المؤتمر وهم صفوة علماء الذرة والفيزياء فى الولايات المتحدة الأمريكية بأن تحطيم الذرة والتصرف على تكوينها والتغلب عليه قد طوح بالنظرية التى سبق لعالم يابانى أن فسر بها حقيقة تماسك الكون تفسيراً علمياً نال به جائزة نوبل للفيزياء لعام ١٩٤٩. وقد أوجد هذا التطور فى علم الذرة والتفسير الفيزيائى لتماسك الكون بلبلة فى تفكير علماء الطبيعة والرياضيات الفلسفية. وقد أعرب عن هذه البلبلة البروفسور انشتاين فى أحد تصريحاته الأخيرة. وانشتاين قطب من أقطاب هذه الناحية من الثقافة الطبيعية

(١٤) Fait Sociale

المرأة والأزهر

جامعة الزهراء ... ؟!

للأستاذ محمد محمود زيتون

يستعد العالم الإسلامى الآن للاحتفال بالعيد الألفى لأقدم جامعة فى الإسلام . وذلك على أثر اللفتة الملكية الكريمة التى تفضل بها جلالة الفاروق المعظم على الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر

والاحتفال بهذه الذكرى المجيدة إنما ينطوى على المعانى السامية التى حرص هذا الجامع العتيق على أدائها منذ أقدم العصور ، فلم يعبأ بخيول نابليون ، ولا بمدافع الإنجليز . ذلك بأن الجامع الأزهر هو الثقافة الإسلامية تجسمت فى ألف سنة من الزمان ، وانبثقت أشعتها على ألسنة العلماء ، وتحت ألوية الزعماء ، وبين صفحات الكتب والمجلات وعلى متن الأثير اللاسلكى

ويكفى الأزهر أن تحتل رسالته الإنسانية مكانها الرفيع من تاريخ الدنيا ، لأنه صاحب اليد الطولى فى رعاية لغة القرآن ، فكان رجاله غواصين على لآلىء الحكمة والشريعة ، وفرائد الأدب والتاريخ . ودور الدنيا والدين ، وقد توارثوها على الأيام والأحكام فصانوا خزائن كنوزها على الدوام

وبين العلم والسلام وشيجة كبرى لا تنفض ، وعروة وثقى لا تنفصم ، « والعلم رحم بيننا » حقا وصدقا كما قال الأستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم لدى استقباله مندوب الفاتيكان بالأزهر منذ أيام . ولعل فى احتفالنا بعيد الأزهر تجديداً لهذه البشارة الكريمة، وتبشيراً بالرسالة الإسلامية التى محورها القرآن الشريف وهو ينبوع التراث الثقافى الذى نعتز به ، وندعو الناس إليه

والدعوة الإسلامية لم تقتصر على الرجال دون النساء ، فقد بعث الله نبيه للناس كافة ، من غير تفرقة بين العناصر والأجناس ، وارتفعت الراية الكبرى بأيدى المسلمين والمسلمات على السواء ، حتى لقد أوصى النبى (ص) فقال « خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء » أى عائشة

فما بال هذه الجامعة الإسلامية العتيدة قد أقفرت أروقتها وحلقاتها من المرأة المسلمة طوال هذا الألف الطويل من السنين ، وهى الجامعة التى أرسى قواعدها المعز لدين الله مؤسس الدولة الإسلامية التى انتسبت إلى فاطمة الزهراء بنت الرسول عليه السلام، فازدهى التاريخ بهذين الاسمين الخالدين « الدولة الفاطمية » و « الجامع الأزهر؟ »

ولا يستطيع أحد أن ينكر المرأة كعنصر قوى فى تاريخ الإسلام ، فقد كانت خديجة أول حواء آمنت بمحمد . وهى أم البتول فاطمة سيدة نساء أهل الجنة ، وحولها تألقت صفحات السيرة بالنجوم الزاهرة من أمهات المؤمنين ، والصالحات من أزواجهم وبناتهم وأخواتهم . ولن ينسى التاريخ عائشة بنت الصديق ، أو أختها أسماء ذات النطاقين ،أو صفية عمة رسول الله، أو أم عمارة التى دافعت عن النبى بترسها ،أورمت عنه بسهمها ، أو زنيرة التى عميت فى سبيل الله ، أو سمية أم عمار بن ياسر التى لقيت الأذى الشديد بسبب عقيدتها ، أو الخنساء الشاعرة التى كان يقول لها النبى: هيه ياخناس، أو رابعة العدوية التى عشقت ربها عشقاً روحانيا خالصاً

وما كانت صفحة من كتب السيرة لتخلو من ذكر هذه الصفوة من المسلمات اللائى تعلمن أمور الدين فى عهد النبى ، إذ كانت تجيئه المرأة تسأله فيجيب ، أو تأتيه وافدة النساء تتعلم منه وتعلم غيرها ، بل لقد كانت المرأة منهن تنكر قومها ، بل أباها وأمها وتلحق بدين محمد ؛ فهذه جميلة تتزوج من حنظلة مع أنها بنت رأس المنافقين عبد الله بن أبى بن سلول ، وهذه أم حبيبة تتزوج النبى وتمنع أباها أبا سفيان من الجلوس على فراش النبى ، وهذه صفية تنكر أباها اليهودى وتتزوج النبى ، وكذلك مارية وأختها سيرين وقد أهداهما المقوقس للنبى فيتزوج الأولى ويهدى الأخرى لشاعره حسان بن ثابت ، كما قامت النساء الأنصاريات بنصيبهن الكامل فى مراحل الدعوة ؛ فقد استقبلن النبى بالمدينة — منذ هاجر إليها — بالدفوف والمعازف ، ويغنين :

نحن جوار من بنى النجار   ياحبذا محمد من جار

وهو - عليه السلام - يداعبهن فى ظرف ويقول : أتحببننى ؟ فيقلن : نعم . فيقول : والله يعلم أن قلبى يحبكن ، ولكن مع ذلك كله يندفعن إلى الغزوات كما تجهزت العير ، واصطاف النفير

وضربت المرأة العربيـــة أروع الأمثلة فى الثبات بفضل استمساكها برسالة الإسلام . فهذه المرأة الدينارية التى تلقت يوم أحد الخبر بمصرع أبيها وأخيها وزوجها وابنها،فتجلدت واحتملت ولم يهمها إلا أن تسأل : وكيف رسول الله ؟ فيقال لها : أمامك . فتقول : كل مصيبة بعدك جلل يارسول الله

وكانت فاطمة وهى بنت النبى تطحن على الرحى بيدهـا ، وتخبز وهى حامل حتى لقد كان بطنها يمس التنور ، وتدير أمر بيتها بنفسها ، فلما طلبت من أبيها خادما أبى عليها ذلك ، فكانت خير قدوة للمرأة فى تدبير المنزل

ولن ننسى موقف المرأة المسلمة التى عارضت عمر وهو أمير المؤمنين إذ كان يخطب فى حقوق المرأة فيقول خليفة رسول الله : صدقت المرأة وأخطأ عمر . فهـل كان يكون ذلك إذا لم تكن المسلمات قد طرقن أبواب المسجد ، لا يحول بينهن فى ذلك إلا الحجاب المشروع ؟

هذا ، وإن ما نرى بين ظهرانينا الآن من انحلال خلقى إنما يرجع إلى إهمال شأن المرأة المسلمـة ، حتى إذا حصل الرجل من العلوم الحديثة ما يشاء أعوزته الثقافة الإسلامية . فلا معين له عليها إلا همته وغيرته ،أما المرأة فإنها — للأسف الشديد - قد حرمت الحرمان كله من هذا وذاك ، فليس حولها من يشجعها على شعائر دينها ، ولا من يدفعها إلى التفقـه فى أصوله ، والتثقف بآدابه

وهذا النقص يمس حياتنا الاجتماعية فى صميمها ، ويسىء إلى التربية الإسلامية فى تطبيقها على المرأة ، وإزاء ذلك نرى أن الفرصة قد حان قطافها فى العيد الألفى للجامع الأزهر

وخير ما نقدمه للأجيال القادمة - فى هذه الذكرى - هو أن ننشئ « جامعة الزهراء » تؤمها المسلمات فى مصر وشتى بقاع العالم ينترفن من مناهل هذا الدين المتين ، فينشأن نشأة إسلامية صحيحة،تتوطد بها دعائم الأخلاق فى الأسرة والمجتمع، وهذا هو الدواء السريع لكل ما نشكو الآن من تصدع فى الروابط الأسرية ، وانصراف عن صوت الإيمان ونداء الضمير ، وتخبط فى الانحرافات الزائفة تحت ستار المدنية

ولن يفوتنا مع ذلك أن نقتبس لطالبات « جامعة الزهراء » كل ما يمكنهن من التهذيب الفردى ، وتدبير المنزل ، وتربية الأولاد ، ومعاونة الزوج ، والخروج من الأسرة إلى أوسع نطاق اجتماعى فى داخل الحدود التى رسمها الإسلام كدستور سماوى ، ونظام إنسانى شامل لنواحى العلم والعمل

فإذا أردنا أن نسد على الفتن مسالكها ، ونفتح لمستقبل الأجيال القادمة باب السعادة ، فما علينا إلا أن نشيد المرأة المسلمة « جامعة الزهراء » إلى جانب « الجامع الأزهر » وعندئذ ستعرف المرأة الحديثة أين حقوقها وأين واجباتها

محمد محمود زيتون

ضبط الكتابة العربية

بحث قدم الى مؤتمر المجمع اللغوي

الأستاذ محمود تيمور بك
عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية

وجملة ما نادى به المنادون من المقترحات ، سواء ما كان منها يشيد باتخاذ الحروف اللاتينية، وما يتخذ للكتابة حروفا مخترعة ، ومايقتضي إدخال علامات أو أوضاع جديدة للحروف أو الحركات ـ جملة ذلك كله لم يسلم من النقد والاعتراض — وكان أكبر ما يثيره النقاد والمعترضون من مآخذ أن هذه المقترحات المعروضة لتغيير الكتابة العربية تقطع الصلة بين القديم والجديد . فإذا أخذ الناس بإحدى هذه الطرائق ، وكتبوا بها ، عجزوا عن أن يقرءوا ما تركه لنا الأولون من تراث ثقافي عريض ، وحيل بين الجيل الجديد وبين الانتفاع بذلك التراث الذي لا تزهد فيه الأمة العربية بحال

والحق أن الاعتراض بالقطع بين القديم والجديد دعوى لا تخلو من غلو في القول ، وإسراف في التصور . فإن أية حروف بل أية علامات وإشارات تكتب بها اللغة العربية لا تقطع بين قديم اللغة وجديدها ، ولا تفصل بين ماضيها وحاضرها . بل لعل حروفا مقتبسة أو مخترعة تكتب بها اللغة العربية تكون سبيلا إلى إحياء اللغة وتيسير اكتسابها ، ما دامت هذه الحروف المقتبسة أو المخترعة أدق ضبطا ، وأدنى تناولا . فإنها بهذا الضبط وقرب التناول تجعل المتعلمين أقدر على القراءة ملكة ، وأقوم لسانا ، وأفصح بيانا

وعلة إثارة النقاد والمعترضين لدعوى القطع بين القديم والجديد أنهم يخشون إذا اتخذت حروف مقتبسة أو مخترعة أن تظل المؤلفات العربية التي توارثناها على توالي الأحقاب مستغلقة مستبهمة لا يعيها قارئ . وبذلك تفقد الأجيال اللاحقة ما خلفته الأجيال السابقة من عصارات القرائح والعقول

ولكن الحق أن جيلا جديدا إذا شب عربيا في منطقه ، بأية حروف وبأية علامات ، فتمكن من قراءة الكلام العربي مضبوطا أدق ضبط ، معربا أصح إعراب ، وا كتسب بذلك ملكة الإفصاح فإن هذا الجيل الجديد لا يعجزه بعدئذ أن يرجع إلى المؤلفات التي كتبت بالحروف العربية القديمة ، وأن يقرأ ما فيها من بيان ، وينتفع بما حوت من علم وأدب ، وذلك إذا أنفق القليل من الساعات في تعلم صور الحروف العربية القديمة ، باذلا في هذه السبيل أيسر جهد

ولا ريب أن كل امرئ في مكنته تعلم الصور الخطية لثمانية وعشرين حرفا ، أية كانت ، في ساعات معدودات ، وبجهد غير معسور

ولو قدر للأمة العربية أن تتواضع على اقتباس حروف أجنبية ، أو اختراع حروف جديدة ، لوجب مع ذلك أن نلزم الناشئة تعلم تلك الصور القديمة للحروف العربية . حتى إذا شبوا وقد انقادت اللغة لألسنتهم ، ومرنوا على ضبط نطقها ، وأحسنوا تصريف كلماتها ، وأمنوا من اللحن في إعرابها ـ استطاعوا بمعرفتهم حروف العربية القديمة أن يطالعوا ما شاءوا من تراث السلف ، ولا سيما المراجع الكبيرة ، وأمهات الكتب ، في فروع العلوم والفنون والآداب

وستظل الحاجة إلى تعلم الحروف العربية القديمة قائمة ، حتى يتسنى لنا أن نعيد طبع هذه المراجع وأمهات الكتب بالحروف التي نتواضع عليها . وستقل وطأة حاجتنا إلى هذه الحروف كلما مضينا أشواطا في طبع تلك الكتب والمراجع . ولكن قدرا من هذه الحاجة سيبقى قائما وإن أعدنا طبع مئات من المؤلفات ومئات

ومن هذا يتبين أن تواضعنا على أية حروف لكتابة اللغة العربية ، لا يقطع الصلة بين قديمنا وجديدنا في ميدان التأليف . فالصلة باقية ، وربما بقيت على نحو أوثق مما هي الآن . وغاية ما هنالك أن الأمر يقتضينا معرفة حروف العربية القديمة ، فإذا عرفناها وضح لنا الطريق إلى منهل التراث العربي ، نعب منه ما وسعنا أن نعب لا يصدنا عنه شئ

بيد أن هذا المنطق الذي نراه واضحا كل الوضوح ، لا يصرفنا عن أن نسأل أنفسنا :

أنريد الحقائق النظرية ، أم نريد الواقع العملي ؟

إن كنا نريد النظريات ، فمجال القول ذو سعة ، وميدان الاقتراح رحيب الجنبات ، تتنافس فيه الأذهان

وأما إن أردنا الواقع الملموس ، فيجب أن نصارح أنفسنا في غير مواربة ولا مراء

لغتنا العربية في جوهرها ومظاهرها ليست ملكا لوطن وحده ، ولا هي مقصورة على دولة بعينها ، ولكنها شركة بين طائفة من الأوطان والدول . وجلي غاية الجلاء أن هذه الطائفة التي تضم بين جوانحها الأمة العربية كلها يجرى فيها اتجاه واضح إلى الإبقاء على الكتابة العربية القديمة ، والتهيب للعدول عنها ؛ وإن كان الرأى العام في الأمة العربية كلها يؤمن بقصور تلك الكتابة عن الوفاء بحاجات الضبط ، ويعانى من صعوبتها ما يعانيه

ثمة عامل نفسى يسرى بين جوانح الأمة العربية ، من أغفله لم يأمن الشطط . فإن جماهيرنا في نهضتنا الحديثة التي تقوم على أساس الحضارة الغربية الراهنة ، تتملكها نزعة المبالغة في الحرص على مشخصاتها القومية ، وهذه الجماهير — في شديد حرصها ذلك — تتوهم أن حروف كتابتنا العربية إحدى هذه المشخصات فإن نبذتها كان ذلك إمعانا في التطرف ، وهدما للمأثور ، وتفريطا في الجانب القومى العزيز

وعلى الرغم من أننا طلاعون في نهضتنا إلى الأمام ، آخذون من الحضارة بكل الأسباب ، فإن جماهيرنا تلك ما برحت تحت وطأة من تقديس التقاليد المتوارثة ، تضن ما وسعها الضن بالنزول عن شيء من شؤون حياتنا الاجتماعية ، وإن كان من الظواهر والقشور

والحروف العربية القديمة ، وإن كانت لا تزيد على أنها أداة تصوير ، وليست هي من جوهر اللغة في قليل ولا كثير ، فإنها قد اتخذت في أوضاعها القائمة ، مسحة من التقديس ، لشدة الألفة بها ، وطول العهد معها ، وجلال القدم فيها . ولذلك لا يحسب كل تغيير يلحق بها إلا استخفافا بشيء تحيط به هالة من الجلالة والإكبار

وإذن فهذا العامل النفسى المتأصل ، هو الذى يقف عقبة في سبيل ما ينادى به المفكرون وذوو الرأى ، من اتخاذ حروف جديدة مقتبسة أو مخترعة للكتابة العربية

ولا خلاف على أن العوامل النفسية التي تستقر بين جوانح الأمم لا تسقط جملة بقوة منطق ، وروعة دفاع ، وحجة إقناع ، وأنها كذلك لا تسقط بظهور مضرة ، واستبانة نفع ؛ فإن للعوامل النفسية أسبابها وملابساتها . فإذا زالت هذه الأسباب والملابسات رويدا زالت معها تلك العوامل رويدا . وليس كالزمان دواء لها وعلاجا

هيهات أن يفرض اقتراح جديد للكتابة بقانون . وهيهات أن يلزم الناس به إلزاما بإقناع ، وكل محاولة تجافى المجرى الطبيعى لتطور نفسية الأمم مكتوب لها الإخفاق

فمن حق الأمة العربية علينا أن نساير في عهدها الحاضر رأيها العام . وأن نسوس هذا الرأى في حكمة وأناة ، حتى يحين وقت تهيأ النفوس فيه لقبول الجديد

فالإجراء الذى يمكن أن تكفل له قبول الأمة العربية في جملتها ، هو أن يكون لمشكلة الكتابة العربية حل لا تتغير فيه الحروف القائمة ، ولا تتنكر معه صورته المألوفة

ومتى اتسق لنا تحقيق رغبة الرأى العام في استبقاء القديم ، فإن الناس جميعا يرحبون بما نتخذ من وسيلة لتذليل المصاعب التي تعترض حل تلك المشكلة في ميدان الطباعة

وقد حدانا هذا على أن نعرض طريقة تقوم على أساس الكتابة العربية في أوضاعها الراهنة ، بيد أننا نتقى منها ما كان عائقا عن إدخال علامات الضبط في الحروف المطبعية

إن صندوق الحروف في المطبعة العربية يحمل لكل حرف صورا متعددة ، منها الفرد ، ومنها ما يقبل الاتصال بحسب أول الكلمة ووسطها وآخرها ، وبحسب وقوع الحروف في بنية الكلمة المركب بعضها فوق بعض . ولذلك اتسع صندوق الحروف من ناحية ، فتعذر أن يحتمل معه صندوقا آخر لعلامات الضبط . وتركبت الكلمة من ناحية أخرى ، فأصبح وضع علامات الضبط عليها غير دقيق . وهذا كله هو سر استثقال علامات

الضبط ، وإخفاقها في أداء مهمتها ، وهو العقبة في سبيل استعمالها في الكتب التي تخرجها المطابع

وإني أرى أن تقتصر من صور الحروف على صورة واحدة ، وبذلك يكون صندوق الحروف المطبعية عيون لا تتجاوز الثلاثين عينا ، فنتخلص من تلك العيون التي تزيد على ثلاثمائة ، وأن تتخذ علامات الضبط المتعارفة التي يجرى بها الاستعمال . وسيرحب بها الصندوق الذي تخفف مما كان يغص به من الصور المتعددة للحروف الأصلية ، وانفسحت جوانبه لتقبل هذه الحركات في غير مشقة ولا عسر . وطوعا لهذا يتوافر للطباعة غنم من السهولة والتيسير ، كما يتوافر للكتابة غنم من نعيم الضبط بلا عناء

وأقترح أن تكون الصورة التي نقتصر عليها من صور الحروف هي الصورة التي تقبل الاتصال من بدء الكلمات ، وهي التي يسميها أهل فن الطباعة : حروفا من الأول ، على أن تؤثر الكاف المبسوطة ، وتظل حروف الألف والدال والذال والراء والزاي والواو والتاء المربوطة واللام ألف باقية على صورتها في حالة إفرادها

وأكبر ظني أننا لو أخذنا بهذه الطريقة لحللنا مشكلة الكتابة العربية الآن على نحو لا يثير اعتراضا ، ولا يتطلب تهيئة الأذهان للرضا بتغيير طارئ ، وإقناع الرأي العام بقبول شيء جديد

وعندي أن هذه الطريقة تتحقق بها المزايا الآتية :

أولا : أنها تنفي شبهة القطع بين القديم والجديد ، فالحروف هي الحروف المعروفة ، وعلامات الضبط هي القديمة المألوفة

ثانيا : أن الحروف ستكون واضحة لا خفاء بها . فهي غير مركبة ، بل مبسوطة ، يعرب فيها كل حرف عن صورته في تميز واستقلال

ثالثا : أن علامات الشكل ستقع على الحروف بأعيانها ، تأخذها الأنظار باللمح ، فلا تترجح العلامات بين الحروف المركبة في الكلمة الواحدة إذ أن كل حرف رحب الصدر لما يقع فوقه أو تحته من علامة الشكل . وبذلك تأمن العلامات من التزحزح ، وتسلم من التعرض للخطإ والاضطراب

رابعا : أن اتخاذ صورة واحدة للحروف في جميع مواقعها من الكلمات ، أولا ووسطا وآخرا ، سيجعل تعليمها أيسر مؤونة ، لأننا لا نروع المتعلمين بالحرف الواحد متعدد الصور ، مختلفا في حالة إفراده عنه في أحوال تركيبه . ولذلك أثره في تعليم القراءة للناشئين ، ومكافحة الأمية على وجه عام بين الأهلين

خامسا : أن المصاعب التي تتجشمها المطبعة الآن لا يبقى لها محل . فإن صندوق الحروف سيتحرر من أكبر ما يثقله . فإذا أضفنا إليه علامات الشكل لم يضق بها جميعا . وسيصبح ذلك الصندوق الذي يحوي الحروف وعلامات ضبطها جميعا لا يزيد على خمسين عينا ، على حين أن صندوق الحروف غير المشكولة في حالتها الراهنة المتعددة الصور يربي على ثلاثمائة

سادسا : أن وقت العمال الذي كانوا ينفقونه في اجتلاب صور الحروف على اختلافها سيتوافر لهم ، فينفقون القليل منه في اجتلاب الشكل . وسيصبح صفهم لكلمة مشكولة يتطلب من الوقت والجهد أقل مما كان يتطلب صف كلمة لا شكل فيها

سابعا : أن اجتناب التركيب في الحروف سيجعل الكلمات مبسوطة ذات أفق أقل انخفاضا من الأفق الذي تقتضيه الكلمات المركبة الحروف ، فتزداد السطور في الصحيفة ازديادا يعوضها مما يستلزمه انبساط الحروف من اتساع الحيز

ولقد رغبت إلى المطبعة في أن تستن هذه الطريقة في صف جملة من الكلام ، فلم تمل بذلك ، وأثبتت التجربة أن الطريقة لا تعترضها في العمل عقبات ، مع أن المطبعة اعتمدت في إنجاز ذلك على صندوق الحروف الذي يجرى به الاستعمال الآن

ولو أن هذه الطريقة لقيت حظا من القبول ، ووضعت موضع التنفيذ ، لتوقعنا أن يزودها أهل الفن في مسابك الحروف بما يوحي به وضعها الجديد ، وأن يزيدوها تجميلا ، ويضيفوا إليها من ألوان التعديل والتنسيق ما يجعلها أدق أداء ، وآنق منظرا ، وأدنى إلى الرضا والاستحسان

بق أن نعرض لشيء لا نجد سبيلا إلى أن نضرب عنه صفحا، ذلك هو أن لمشكلة ضبط الكتابة جانبا غير الجانب المطبعي الفني الذي تحله هذه الطريقة

إن المطالبة بضبط الكتابة أمر تعترضه مصاعب يتبرم بها الكاتبون . فإنا إذا رغبنا إلى كل كاتب أن يقدم ما يكتبه إلى المطبعة مشكولا على وجه الدقة ، استشعر من ذلك عنتا ، ولاقى في سبيله رهقا . أليس هو مطالباً بأن يتحرى الصواب في الضبط ؟

وهل يتسنى لكل كاتب أن يحسن ضبط ما يكتب ؟ أو ليس ذلك يقتضي بصرا باللغة ، وإتقانا لقواعد النحو والصرف ، حتى لا يكون الضبط الجديد سبيلا إلى إشاعة الخطإ من حيث نبتغي إشاعة الصواب ؟

ولكن هذا الذي نتوقعه ونخشاه من شيوع الخطإ إذا أريد الكاتبون على ضبط ما يكتبون ، دليل أسطع دليل على أننا تعوزنا المرانة على سلامة النطق وصحـــة الإعراب ، دليل على حاجتنا القصوى إلى تعميم الضبط في الكتابة

على أن لكل تغيير طارئ مصاعبه الأولى ، ولكل إصلاح عثراته في نوائح الطريق ، حتى يستقر الأمر ، وتستتب الحال . فلا ريب في أننا حين نأخذ أنفسنا بضبط ما نكتب سيشيع بيننا خطأ كثير ؛ إلا أن هذا الخطأ سيقل ويضمحل على توالي الزمن وفقا لتتبع النقاد ، والرغبة في توخي الصواب . ولا ريب كذلك في أن الأمر سيقتضي تخصيص طائفة من البصراء باللغة للإشراف على كل ما تخرجه المطابع من كتب وصحف ومجلات ، حتى تبرأ من اللحن والخطإ في ضبط الكلام

ومر الأيام كفيل بإنشاء جيل جديد من الكتاب والمؤلفين يغنون بقدر كبير أو صغير عن معونة الراجعين والمصححين . وهذا الجيل ناشئ حتما متى شب على قراءة ما يقرأ مضبوطا أتم ضبط ، إذ يتعود سلامة النطق، وتستقر في أذهانه صيغ الكلمات والجمل مضبوطة معربة ، فيكتبها كما ألفتها عينه ، ويتلفظ بها كما سمعتها أذنه . وبذلك يقتطف ثمرة النحو والصرف دون تخصص في تعلم النحو والصرف . شأنه في ذلك شأن الشاعر المطبوع حين ينظم ما ينظم صحيحا لا خلل فيه ، طوعا لما أدمن من قراءة الشعر ، ولو لم يعرف من علم العروض شيئا

وعلى الرغم من أن هذه الطريقة التي نراها حلا المشكلة الفنية المطبعية في ضبط الكتابة ، طريقة ميسورة ، لا تقف في سبيل تنفيذها عقبة ، فإننا لا نستطيع أن نلزم بها الأمة العربية إلزاما ، ولا أن نفرضها على المطابع فرضا . ولكن يجب أن ندعو إليها دعوة عملية طبيعية نزكيها عند الناس، ونحدوهم على اتخاذها بالطوع والاختيار

ولعل أهدى سبيل إلى تحقيق تلك الدعوة هو أن تلتزم وزارة المعارف طبع كتبها التعليمية في مختلف المواد والمراحل ، وافية الشكل ، صحيحة الضبط ، بهذه الطريقة الهينة الميسورة . ولن تجد الوزارة في سبيل ذلك ما كانت تجد من مصاعب فنية ، وعقبات مطبعية ، حالت بينها وبين تعميم الشكل في كتب التعليم

فإذا ألزمت وزارة المعارف نفسها بهذا الإجراء ، كان ذلك حافزا على اتخاذ تلك الطريقة في محيط الجمهور

وسينشأ تبعا لذلك عامل نفسي لتأييد تعميم الضبط في سائر المطبوعات ، هو عامل التأسي والاقتداء ، عامل التنافس في إظهار القدرة على إخراج كتب مشكولة ، تشبها بما تخرج وزارة المعارف من كتبها في شتى مواد العلوم والفنون والآداب

ويومئذ يتحقق غرض منشود ، سعى إليه « مجمع فؤاد الأول للغة العربية » ، وابتغى إليه الوسيلة ما وسعه أن يبتغي ، ذلك هو تعميم الضبط في الكتابة العربية على نحو ميسور

محمود تيمور

إسق العطاش

للأستاذ حسني كنعان

سألني صديق عن فصل (اسق العطاش) ، وسألني آخر عن آثار القباني ، وها أنذا أجيب على السؤالين

اسق العطاش : نوع خاص من أنواع الوشحات العربية القديمة المجهولة المتوارثة اختصت بحفظه مدينة حلب وحدها دون سواها من المدن العربية . ولهذا النوع من الأثر طابع خاص عرف به في النظم واللحن والإنشاد طغت عليه النزعة الصوفية . فأنت إذ تصافح أذناك هذا النوع من الوشحات الأخاذة الساحرة وتصغي بكل حواسك وجوارحك إليه تخال نفسك كأنك قابع في زاوية من زوايا السادة الصوفية تضوعت في جنباتها روائح الند والمسك والطيب فتذهل عن الدنيا لشدة ما يعتريك من الخشوع والطرب والورع تأثراً بهذه الأنغام الرائعة والمعاني المتعة فيأخذك العجب مما جادت به قرائح الأجداد الفياضة التي إن دلت على شيء فإنما تدل على ما كانوا عليه من شغف بالفن وانكباب مجهود في إحيائه والنهوض به ...

والفصل برمته مأخوذ عن كتاب خطي قديم عنوانه (سلافة الألحان) يقع في مئة وخمسين صفحة على الجملة ، قد دون بخط جامعه السيد (محمد الوراق) الحلبي المثبت وكان رحمه الله من الملمين بهذا الفن البارزين. وله في حلب عدة تلاميذ لا يزالون حتى الآن يحفظون له هذه اليد

وكان منشداً في التكية الهلالية قد انقطع للنسك فيها والعبادة والتصوف، وقد تيمه الحب وهاجه الوجد والغرام في هذه الطرق ، لجمع هذا الفاصل الأثري وعنى بتعلمه وتعليمه فكان له ما أراد من فضل في نشره وإحيائه ... (١)

ولقد اختلف الرواة في منبع هذه الوشحات ، فمنهم من نسبها إلى مصر وذهب إلى أن مياه النيل في عام من الأعوام قديماً قد نقصت وضنت السماء على سكان الوادي الخصيب بالمطر فما جادت عام مئذ بقطرة واحدة ، ففزع أهل القطر إلى العراء يستمطرون الرحمة والغوث من لدن رافع السماء وباسط الأرضين ، جاء في مطلع أدعيتهم :

ياذا العطا ياذا الوفا
ياذا الرضى ياذا السخا
إسق العطاش تكرما
فالعقل طاش من الظما

ومن قائل إن هذه الحادثة وقعت بحلب ، ودليله على ذلك العادة المتبعة حتى الآن من فزعهم ولجوئهم إلى العراء حتى اليوم يستغيثون ويستمطرون الرحمة كلما ضنت عليهم السحب بالغيث فيجأرون بهذه الأدعية والوشحات. وإلى هذا فمصر فيها خزانات لإرواء تربتها يفزع إليها كلما ضن النيل وبخلت السحب بالأمطار

ومن قائل بأن هذه المخلفات الفنية من وضع الصوفيين تهدف بمعناها ومبناها وموسيقاها إلى نزعة غزلية صوفية يقصد بها الإشارة والمديح للذات القدسية العلية والتغزل بها والتغني بمحامدها ومفاتنها على سبيل التعبد ، وأنها تتلى بالأذكار وحلقات التكايا والزوايا لهذه الغاية

وهي موشحات كما ترى لا تتنافى مع مبادئ الدين الحنيف في شيء ، وقد سبق لابن الفارض والسيد الجيلاني وابن العربي وعبد الغني النابلسي أقوال كثيرة في هذا المعنى من الغزل الصوفي، ولذا نراها تستعمل في بلادنا في كل حفل ديني يؤتى فيه على ذكر الله الملك الديان ، ويغلب على نغم هذه الوشحات النغمة الحجازية وقد يدوم إنشادها في الأذكار والحفلات زهاء أربع ساعات دون انقطاع يتخللها نغمة العراق والعجم في بعض الأحيان ، إلا أن نغمة الحجاز هي الغالبة على جميع الأنغام في هذه الآثار

والعادة المتبعة عند الحلبيين أن يهيئوا لها أحسن العازفين والمنشدين فتبدأ الأنغام في بادئ الأمر ببطء متزايد وصوت غليظ ثم يأخذ هذا الصوت في الحدة والشدة والدقة حتى تعلو الأصوات وتدق ، ويشتد العزف ويخف بحسب المعنى إلى أن يغدو السامع كأنه ثمل بنشوة الطرب ، وعندما تكون الحلقات معقودة وتأخذ رجالها النشوة تزلق أرجلهم وأيديهم وصدورهم إلى البدء

---

(١) مصادر هذا الفصل عن رسالة الأثري

في رقص السماح الذي تحدثت عنه في الرسالة - اذا وينقلب هذا الفاصل من الموسيقى إلى فاصل إنشاد ورقص وطرب تسمع وترى عندئذ من القائمين على شؤونه العجب العجاب ، وعندما يشعر أبطال هذه الحلقات بتعب أو ضنى ينسل من الحلقة منتحيا ناحية في المكان ، فإذا ما شعر غيره بتعب صنع صنيعه وهكذا يظل أبطال الحلقات يتسللون فراداً الواحد تلو الآخر ويكون ذلك بعد مضى أربع ساعات على التحقيق إلى أن تنقطع الحلقة وينفض المتحلقون من حولها وينتهي هذا الفاصل الفنائي الرائع الأخاذ .

أذاعت جزءاً من هذا الفاصل محطة حلب الإذاعية منذ أمد بإشراف الأستاذين الشيخ عمر البطش الذي فقدته سوريا بالأمس وفقدت بفقده كنزاً ثمينا من الكنوز الفنية التي لا تعوض ، وبإشراف الموسيقار توفيق الصباغ . وما كاد يمضي مدة على إذاعة مختارات من هذا الفاصل الأثري الخالد حتى بادرت إدارة محطة الشرق الأدنى إلى الشخوص لحلب فتعاقدت مع أرباب هذه الصناعة من المذيعين وأخذت تسجيلا خاصاً عنه . ولا ريب أن محطة دمشق ومصر والعراق وبقية محطات المدن العربية كانت أولى بحفظ هذه المخلفات الأثرية من محطة الشرق الأدني قبل أن يمضي عميدها المرحوم الشيخ البطش، ولكننا نحن معشر الشرقيين نستهين بتراثنا الفني ونهمل رجالاته فإذا ما فقدناهم ندبنا حظنا وذرفنا الدموع سخينة على افتقادهم ، وإني ختاماً لهذا البحث الفني أراني ملزماً بذكر بعض مقطوعات مما ورد فيه تتمة للفائدة وتعميما للنفع عسى أن يجد أبناء الفن الباحثون المتذوقون منهم والمتكسبون فيه ما تصبو إليه نفوسهم ويشفي غليلهم

فالسادة أصحاب الطرق يذهبون في هذه الموشحات مذاهب شتى ، فمنهم من يجعل الحبيب الذي يتغزل به غزالا ، ومنهم من يجعله إنساناً ذكراً أو أنثى؛ ولا يعلم إلا الله خفايا أسرارهم فيتغزلون بدعد وهند وليلى وسلمى وإلى ما هنالك من أسماء الأنثى ، ومنهم من يتغزل بالذكر ويجعل المحبوب رسولا أو إلها أو وليا من الأولياء فهم بهذه الحالة يظهرون مالا يبطنون . ومن أقوالهم في ذلك

يا غزالي كيف عني أبعدوك   شتتوا شملي وهجري عودوك
يا غزالا بالبها ما أجملك   يا ترى في قتلتي من حللك
كنت لا أهوى خلا ما خلاك   حلوك الهجر حتى واصلوك

قلت رفقاً يا حبيبي قال لا   قلت راع الود ياريم الفلا
قال من يهوى فلا يشكو البلى   قلت حسبي مدمعي قال سفوك
قلت مولى قال ذا شيء بعيد   قلت عبداً قال لا أرضى عبيد

ومن قولهم في ذلك أ

أهوى الغزال الربربي باهي الجمال   حلو المباسم سكرى ريقه حلالي
أهيف حوى كل المحاسن والكمال   إذا تبدى ينجلي مثل الهلال
يا عاذلي اقصر كلامك عن غزالي   ما للعواذل في هوى روحي ومالي

هذان الموشحان من نغمة الحجاز

وهذا موشح من النوع الذي يتغزل فيه بالأنثى :

هيمتني   تيمتني   عن سواها   شغلتني
أخت   أنس   ذات   شمس
دون   كاس   أسكرتني
لست   أسلوها   ولو   في نار هجران كوتني
ذات عقد ذات بند   أسبلته   فوق   نهد
أيها الساقي   قد دنت   باسم من   قد آنستني
عاذلي   ماذا   عليها   باللقا   لو   أتحفتني
سودها   العود الرخيم   يسلب   القلب   السليم
تسبل الشال السليم   فوق   أعطاف   سبتني
ليلة   بت   معاها   بالصفا   لما   دعتني

وإليك نوعا آخر من أنواع الغزل الصوفي نختم به هذا النوع من الموشحات

مولاي أجفاني جفاهن الكرى   والشوق لاعجه بقلبي خيما
مولاي لي عمل ولكن موجب   لعقوبتي فامنن على تكرما
واجل صدى قلبي بصفو محبة   يا خير من أعطى الجزاء وأنعما
يا ذا العطا يا ذا الوفا يا ذا الرضا   يا ذا السخا إسق العطاش تكرما
أغث اللهفان وارو الظمآن   واسقنا يا رحمن من منهل الإحسان

أما الاستيضاحات التي طلبها مني السيد محمد يوسف نجم من جامعة فؤاد الأول فالجواب عليها أورده على الجملة فيما يلي عساه يلاقي فيه ما تصبو إليه نفسه :

١ — لم يسبق محاولة مسرحية في سوريا قبل القباني وإنما الذي عرف أن أستاذه علي حبيب الحكواتي كان يخاطب الصور

الخيالية من وراء (خيمته) بلهجة تمثيلية فيها الحوار والسؤال والجواب. وكان القباني يلازمه ويقتبس من لهجته التمثيلية ومحاوراته اقتباسات أفسحت أمامه المجال لوضع نواة التمثيل في مخيلته، وكانت فرقة فرنسية أمت سوريا للتمثيل فيها حلت في مدرسة (المغاربة) في باب توما، فحضر القباني هذه الروايات وشهدها جميعها فأخذ فكرة عن التمثيل والمسرح. وفي عهد الوالي عبد اللطيف صبحي باشا ظهرت أولى مسرحياته وألف رواية (ناكر الجميل) ومثلها أمامه سنة ١٢٨٨ وكانت سوريا والبلاد العربية لا تعرف شيئاً عن التمثيل قبل هذا التاريخ

٢ — أما كتبه ومؤلفاته المسرحية فإنها مذكورة في كتاب الموسيقى الشرقي لمؤلفه المرحوم كامل الخلعي. ولقد أجهدت نفسي كثيراً لأحصل على نسخ منها فلم أظفر لأن ولده المرحوم خليل أودع مؤلفات والده عند شريك له في المحاماة من آل العجلاني، ولما توفي خليل المذكور أنكرها واحتجزها لنفسه كما فعل شقيق الشاعر الزين رحمه الله بأشعار أخيه الفقيد. وعبثاً حاولت الحصول على نسخ منها. ولما أعيتني الحيلة والأمانة للعلم والبحث قصدت نائب دمشق الأستاذ فخري بك البارودي وطلبت مساعدتي للحصول على تراث القباني، فجال بمكتبته الفخمة جولة ثم عاد يحمل إلى روايتين مطبوعتين في القاهرة بقلم القباني نفسه قد أكلت حشاياهما الأرضة وعفى عليهما النسيان، إحداهما رواية هرون الرشيد، والثانية رواية الأمير محمود نجل شاه العجم، فعثرت بمشورى عليهما على كنز دفين أو معدن نادر. ولم أتبين تاريخ وضع رواية الرشيد لاهتراء مغلفها، أما السلطان محمود فلقد طبعت بالمطبعة العمومية بمصر سنة ١٣١٨ هـ

فرأيي في أسلوب الروايتين لا يخرج عن رأي أديب يرى في هذا الأسلوب المسجع أسلوباً لا يليق أن يتخذ قدوة في هذا العصر، فرواية الرشيد تدور حول مؤامرة القصر والست (زبيدة) وحادثتها مع قينة الرشيد (قوت القلوب) وموضوعها لا بأس به على الجملة. أما الرواية الثانية فليس لها مثل أسلوب الأولى وليس لها مغزاها. ولقد صدرت رواية الرشيد بعهد الخديوي عباس ودليلي على ذلك ما جاء فيها من قول مؤلفها:

دام في عصر مشيد   عوننا عبد الحميد
وبه نجم السعود   قد تبدى في صعود
وبعباس المعالي   بهمت بيض الليالي

ومن هذه الأرجوزة الجذلة تعرف مقدارفهم القباني ومقدار مواهبه الشعرية والنثرية. ولا أظن أن المكتبات الكبرى في القاهرة تخلو من آثار القباني إذ أنها كلها مطبوعة في القاهرة. وكانت في عصره منتشرة ولا يعدم الباحث المدقق وسيلة للعثور عليها كما وجدت أنا الوسيلة للاطلاع على بعضها على رغم تقادمها

٣ — أما ماورد في السؤال الثالث عن احتمال وجود مدرسة فنية في دمشق اهتدت بهدى القباني وتتبعت خطاه، فهذا أمر ينفيه الواقع. لأن القباني بعد مغادرته الديار الشامية وهجرته لمصر انقطعت أخباره عن سوريا وتعطل المسرح من بعده وانتقل هذا الفن إلى الديار المصرية حيث لاقى فيها تربة خصبة وصدراً رحباً وكان وصوله إليها في عهد الخديو توفيق وعاصر عباساً ولم يعد إلى بلاده إلا بعد أن نشر الفن في ربوع النيل السعيد وتخرج هناك على يديه الكثيرون ممن ذكرتهم في مقالاتي السابقة في الرسالة الغراء. والشيء الذي أريد أن أقوله: إن القباني وقد مضى على تاريخ وفاته هذه السنون الطوال لا يزال أعقاب بعض أعدائه من الشيوخ الحافظين الذين كانوا يناوئونه ينظرون إليه نظر المخرق الخارج الذي أحدث ثلمة في الدين وأوجد بدعة عاقام به من أعمال فنية في ذلك الزمن. وهم يلومونني إذ أكتب عنه هذه الفصول. وهذا دليل على التأثير البالغ الذي أحدثته رواياته وقتئذ لدى آبائهم وأجدادهم المعاصرين له. وقد غالى بعضهم في اللوم والعتاب وحظر على الكتابة في هذا الموضوع بداعي أنه يثير حزازات قديمة، وهؤلاء الأعقاب كما ترى قد ورثوا العداء لهذا الفني العالي كابراً عن كابر، وأنا إذ أعود إلى نبش هذا الموضوع من جديد ألقي التبعة في ذلك على عاتق السيد نجم لأنه هو السبب في إثارته من جديد فليه يقع الكفر، وأنا إنما أنقل ما يطلب إلي، وناقل الكفر ليس بكافر

٤ — وأما طلب السيد نجم بإتمام بحثي عن القباني في الرسالة فهذه مهمة سأتفرغ لها وأكتب فصلا خاصا عن القباني الموسيقي كما كتبت عن القباني الممثل إجابة لرغبته وإن كانت هذه الرغبة تكلفني غاليا كما أشرت

دمشق

حسني كنعان

رأى فى تحديد العصر الجاهلى

بحث قدمه إلى مؤتمر المجمع اللغوي

صاحب العزة الأستاذ ابراهيم مصطفى بك

عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية

يرجع أدبنا فى أصوله إلى العصر الجاهلى — ألفاظ لغتنا، وطرق اشتقاقها، وبناء الجملة ونظم تأليفها، وأوزان الشعر وقوافيه وهيكل القصيدة

ومثل البادية فى العصر الجاهلى وصور الحياة فيها لم تزل منبثة فى تفكيرنا وإيماننا ونظم حياتنا، وكل تنوير لهذه الحقبة من التاريخ يرجع بالإضاءة والكشف على أصول أدبنا وتكوين حياتنا

وهو عصر غامض حتى لا نعرف مداه ولا نتفق على تحديده، ولهذا ترسل الحوادث فيه مبعثرة مضطربة غير مرتبطة بأوقاتها ويغشيها ستار من الخيال ومن المبالغة تتيه فيه الحوادث ويضل المؤرخون

فحرب «داحس والغبراء» مثلا وهى من أشهر حوادث هذا العصر يعدها بعض المؤرخين فى أوائل القرن الخامس، ويراها آخرون من حوادث القرن السادس، ومنهم من يقول إنها امتدت أربعين سنة، ومنهم من يرى حصرها فى عشر هذا الزمن أى نحو أربع سنوات

وزهير بن جناب الكلبى عاش ٣٠٠ سنة أو ٤٠٠ سنة أو ٤٥٠ سنة، وطى بن أد عاش ٥٠٠ سنة

وتحديد هذا العصر بمعالم من التاريخ أول واجب لتصوره ولفهم مجرى حوادثه

وآخر هذا العصر معروف محدد هو سنة ٦٢٢ وهو بدء التاريخ الهجرى

وإذا نظرنا وجدناه لا يؤرخ بزوغ الدعوة الإسلامية وبدء ظهورها، فقد دعا الرسول إلى دينه سرا وجهرا وأعلن رسالته فى الأسواق وهى مجامع العرب وعرض نفسه على القبائل، وتم ذلك كله قبل الهجرة ولم يعد شىء منه نهاية للعصر الجاهلى

وكذلك لا يؤرخ انتشار الإسلام وغلبته على الجزيرة العربية فقد كان الإسلام فى المدينة وحدها بل فى جزء منها، وسلطان الحياة الجاهلية لم يزل مبسوطا فى الجزيرة وأرجائها الواسعة. والمسلمون أقلية صغيرة ضئيلة كما كانوا أقلية بمكة

ولكن أمير المؤمنين عمر والعرب معه لم يتخذوا هذا التاريخ اعتباطا ولا حددوه تحكما؛ بل رأوه تاريخ تكوين حكومة خضعت لها البلاد العربية وشملها سلطانها ونظامها، وقضت على حالة من الفوضى تنهب فيها الأموال والأنفس. والضعيف نهب القوى

ولم يتخذ تاريخا حتى كان سلطان تلك الحكومة وطيدا شاملا وأمنها مظلا وارفا

وكان تكوين الحكومة عقب تلك الرحلة القاسية السعيدة الفاصلة وهى الهجرة فسمى التاريخ بالهجرى

فهذه نهاية العصر الجاهلى قرنت بالهجرة وبتكوين الحكومة الإسلامية

فما مبدأ هذا العصر؟ يحضر المؤرخون به إلى أول الخليقة ويجعلونه شاملا لكل ما كان قبل الإسلام وهم بهذا يقررون أن العرب أو عرب الشمال على الأخص قد جاءهم الإسلام وهم على الفطرة وفى حالة بداوة لم يتصلوا قبلها بحضارة

ونحن مضطرون هنا أن نشير إلى نوعين من الجاهلية: جاهلية الفطرة وتكون الأمة فيها بدائية متبربرة خشنة العيش لم ترث آثار مدنية سابقة. وجاهلية فترة وهى حال أمة كانت لها حضارة فقدتها بسلطان من الطبيعة أو أحداث السياسة وتدهورت فى حياتها درجات وبقى متمسكا فيها آثار ما نعمت به من حضارة

وإذا كان مسلك المؤرخين يفيد أن جاهلية العرب هذه كانت جاهلية فطرة فإن كل شىء فى التاريخ وفى حياة العرب يشهد أنها كانت جاهلية فترة، جاهلية موقوتة تحمل آثارا قوية من حضارة أو حضارات سابقة

لغتهم وبيانهم لم تكن لغة أمة بدائية ولا قريبة من البدائية، وعملهم وهو التجارة — والتجارة الخارجية خاصة — بعيد أشد البعد من أن يكون عمل أمة بدائية؛ وحكمهم للبلاد يوم فتحوها وسياستهم أهلها لا يمكن أن يتهيأ لأمة فطرية

حتى رذائل الجاهلية فيها ما يشهد بيعدها عن الحياة البدائية ـ هـــذا الربا الذى شدد الإسلام فى النهى عنه والذى عنى به الرسول فى خطبة الوداع ووضعه عن الناس يشهد تعدد أنواعه والتشدد فى تحريمه بتغلغله فى الحياة الجاهلية ـ وما كان تقويم المال وتقديره وأرباحه عملا من أعمال الأمم الفطرية

وربا الفضل نوع من الاتجار فى الأثمان وفى النقد وعمل من أعمال البرصة ومضارباتها وهو من ظلال حضارة غنية مرفهة؛ فقد كان نقـد الفرس بأيدى العرب يعلو ويهبط تبعا لانتصارهم أو هزائمهم، وكذلك نقد الروم ، فتضطرب الثروة فى أيدى الناس وينتهز الفرصة البصيرون الهازون كما يفعل اليوم تجار النقد . وقد عالجه الإسلام أصلح علاج ـ الذهب بالذهب والفضة بالفضة ، مثلا بمثل ، يداً بيد

والقرآن يشهد للعرب بحضارات سالفة بائدة ـ فهم على دين أبيهم إبراهيم ، وأرسل إلى العرب من العرب رسل منهم هود وصالح وشعيب ولـكل رسالة دين وفى كل دين حضارة

وطبيعة البلاد العربية وموقعها فى وسط الدنيا تأبى أن تكون بمنأى عن الحضارات وأن يعمرها قوم منعزلون متأبدون فطريون. فمنذ أقدم عصور التـاريخ كانت الجزيرة العربيـة وبواديها قناة التجارة بين الشرق والغرب من قبل أن تفتح قناة السويس؛ بل إن طبيعة الجزيرة اليوم تعمل فى قوة وسرعة لتسترد قناة التجارة إلى مسالك بواديها . ولا يغفل عن ذلك إلا من سد أذنه وأغمض عينيه . فالسيارات القوية العاتية والوثيرة المريحة ما بين البصرة وبيروت فى يومين ، وللسرعة حسابها فى التجارات وفى هـذه الأيام خاصة . وقناة السويس تنظر بخضوع وحسرة — إن لم تـكن غافلة — إلى هذا المنافس الذى يحاول أن يسترد من بين يديها الثروة والغنى والمجد — والصحارى كالبحار تـكون عازلة حتى إذا مهدت وذللت كانت سبيل القرب وهمزة الوصل .والذين اجتازوا البوادى العربية ورأوا طبيعتها الحجرية لا الرملية دهشوا لهذه الفجاج التى مهدتها الطبيعـة وسوتها يد الله . وقد شهدت عشرات من الرجال مهدوا بأيديهم أميالا من الطرق لتمر بهـا سيارات الملك ابن السعود وسيارات جنـده وكل ما عملوا أنهم كنسوها من صغار الحجارة التى تسمى عندهم « بالجراجل »

والمنقبون لا يزالون يكشفون عن آثار حضارات عظيمة فى اليمن وشمال الحجاز وبطرة وتدمر والحيرة فهل يقبل أن تقوم هذه الحضارات فى نواحى الجزيرة وإخوانهم فى جوفها بدائيون غير متحضرين ؟

والآثار تشهد أن تلك الحضارات كانت تجارية، من التجارة ثروتها وربحها، وعليها قيامها وبقاؤها . والتجارات تأتى من طرف الجزيرة إلى طرف وتمر فى مسالـكها ، ولابد لهذه المسالك من الاطمئنان والأمن ، ولا يكون ذلك إلا فى ظل حضـارة وسلطان قوى

هذه حقائق تمليها الطبيعة وتنطق بها الآثار ولـكن روايات الأخبار التى بأيدينا تنطق هذا أو تطمسه لأن رواياتها دونت بعد صدر من الإسلام وعمل فى تدوينها العرب وغير العرب

أما العرب فقد كان لدى أغلبهم أن الإسلام لا يظهر فضله حتى تـكبر سيئات الجاهلية وحتى لا يكون فى الجاهلية إلا شر قلبه الإسلام خيرا

والإسلام رسالة ووحى ولـكن الذين استجابوا له وقاموا به رجال ربتهم الجاهلية ،لابد أن تـكون مواهبهم وتجاربهم قد أعدتهم لقبوله أو النهوض به والله أعلم حيث يجعل رسالته

وأما غير العرب فقد حز فى قلوبهم ضياع أممهم ودينهم ودولهم ولم يستطيعوا عيب العرب إلا أن ينالوا من جاهليتهم . وجهـاد الشعوبية فى هذا كبير ووسائله شتى ظاهرة وماكرة

فلا ينـكر متبصر أن الجزيرة العربية شهدت قبل الإسلام حضارات ذات شأن . وعلى هـذا الأصل نحاول أن نحدد أول الجاهلية العربية قبل الإسلام وسبيل ذلك أن نعرف آخر حضارة قامت بالجزيرة وتحدد نهايتها فتـكون بدء هذا العصر الجاهلى

فإذا اقتصرنا على العصر التاريخى وعلى ما كشف من آثار حضاراته ذكرنا حضـــارة الأنباط وقد كانت فى شمال الجزيرة وامتدت من العراق إلى مصر ووصلا فى الجنوب إلى وادى القرى وورثت حضارة ثمود وأبقت آثاراً خالدة وصمدت للروم فى حروب شديدة مريرة ـ ثم حان حينها فانقضى أمرها على يد « تراجان » سنة ١٠٦ من الميلاد وورثت مكانتها تدمر ووسع سلطانها الشام ومصر وما بين النهرين والأناضول إلى أنقرة، وجاء يومها فانقضى

ثورة في الجحيم

الأستاذ حمدي الحسيني

جميل صدقي الزهاوي رحمه الله شاعر عربي كبير نشأ في بغداد واشتغل فيهـا بالصحافة والتعليم . وقد أصابه وهو في الخامسة والعشرين من سني حياته مرض عضال في نخاعه الشوكي لازمه طول حياته . وقد زار الآستانة في عهد عبد الحميد الثاني فضاق صدر السلطان به ، فتأثره الجواسيس وضيقوا عليه ، فنظم قصيدة ذم بها عبد الحميد وسلوكه ، ودفعته الجرأة أن ينشدها أبا الهدى الصيادي ، فكتب بها أبو الهدى تقريراً دفعه إلى السلطان فكان ذلك سبباً في سجن الزهاوي

أيا أمر ظل الله في أرضه بما ... نهى الله عنه والرسول المبجل
فيفقر ذا مال وينفي مبرءا ... ويسجن مظلوما ويسبي ويقتل
تمهل قليلا لا تغظ إنه إذا ... تحرك فينا الغيظ لا نتمهل
وأيديك إن طالت فلا تغترر بها ... فإن يد الأيام منهن أطول

وقد عين الزهاوي بعد الانقلاب العثماني أستاذا للفلسفة الاسلامية في (مكتب الملكية) في الآستانة وعين في الوقت نفسه مدرسا للأدب العربي في جامعة دار الفنون ، وانتخب بالنيابة عن متصرفية (المنتفك) من أعمال العراق ، في مجلس النواب العثماني ، ثم عاد لبغداد بعد انقشاع الحكم العثماني عن العراق ، فعين عضوا في مجلس المعارف ثم رئيسا للجنة ترجمة القوانين العثمانية . وللزهاوي مقالات في مواضيع شتى نشرتها له المجلات العربية المعتبرة ، وله من الكتب العلمية والأدبية الشيء الكثير . وأما دواوينه الشعرية فخمسة دواوين آخرها ديوان الأوشال ، وهو يجمع بين دفتيه كل ما نظم الزهاوي في سن النضوج

يبدو لنا من شعر الزهاوي أنه كان حريصا على أمرين ، أن يشتهر بالفلسفة وأن يدعى نصير المرأة . ولا نستطيع هنا أن نمر بهذه الظاهرة النفسية دون أن نحللها تحليلا نفسيا . فالزهاوي رحمه الله كان مطوي النفس على شعور بالنقص ، وهذا الشعور قد كونته في نفسه عوامل شتى يرجع أكثرها وأقواها إلى طفولته ونشأته الأولى . وقد يكون المرض العضال الذي أصابه في نخاعه الشوكي سببا قويا من أسباب ذلك الشعور . ومن طبيعة هذا الشعور أن يدفع صاحبه إلى الكفاح في سبيل الرفعة بطرق شاذة ، والرفعة في ما وصل إلى يدنا من شعر الزهاوي أصبحنا

ملكها سنة ٢٧٠ على يد أرليان الروماني أيضاً

وكانت الحروب الطويلة القاسية بين الروم والفرس سبب انقطاع التجارة بينهما ، وكان لابد للتجارة أن تشق لها مجرى إذا سد مجرى فاتخذت سبيلها في مفاوز البلاد العربية البعيدة عن سلطان الدولتين . وكان الروم أشد حسرة لانصراف التجارة إلى أيدي العرب ولابد لها من هذه التجارة ولابد للغرب أن ينال موارده وقوته من هذه البلاد المشمسة الممطرة الغزيرة الإنتاج فكان من عناصر سياسة الرومان وتصميمهم أن يصلوا إلى كنوز الهند وأن تكون تجارتها خالصة لسلطانهم

ولهذا تجشموا الأهوال في القضاء على بطرة وعلى تدمر وحاولوا القضاء على دولة اليمن أيضاً ، وأرسل أغسطس حملته المشهورة بقيادة قائده المعظم الياس جلاس فهلك في الصحراء جيشه وعاد بخيبة سجلها رفيقه وصديقه استرابون وأورثتهم يأساً أبديا من أن ينالوا بلاد اليمن عن طريق شمال الجزيرة

وفي القرن الرابع كانت المسيحية قد انتشرت وصالحتها الدولة الرومية البيزنطية واستعانت بها على مد سلطانها ـ وكان رسل هذه الديانة قد وصلوا إلى الحبشة وبشروا فيها بدينهم فقامت بها دولة مسيحية حبشية تقابل في البلاد العربية دولة اليمن اليهودية . وقامت العداوة بين الأختين ؛ فأحباش هذه الدولة من أصل عربي عتي ولكن المنافسة في التجارة والعداوة في الدين أججت نار الحرب بينهما . ومن آثار تلك العداوة حديث الأخدود والنار ذات الوقود . وأرسلت بيزنطة رسلها وسفنها إلى الأحباش فمكنتهم من القضاء على دولة الحميرية باليمن بعد حروب سجال وانتهى بذلك عهد آخر دولة مستقلة قامت قبل الإسلام في الجزيرة العربية وكان ذلك سنة ٥٢٥ ميلادية

البقية في العدد القادم

ابراهيم مصطفى

نعتقد بأن قصيدته الطويلة السلسلة المسماة ثورة فى الجحيم هى الصورة الصادقة لنفسيته، والمرآة الواضحة لآرائه وأفكاره، والموضع الأمين لقوته ونزوعه. أما فلسفته فى هذه القصيدة وتردده بين الإلحاد والاعتقاد وحيرته بين الشك واليقين فلا نحب أن نتعرض له الآن لأن التعرض له ليس من غرضنا فى هذه الكلمة.

ولنصغ الآن إلى ملكى القبر منكر ونكير وهما يسألان الميت فى قبره عن السفور والحجاب، هذا الأمر الذى شغل الزهاوى زمنا طويلا واحتمل فى سبيله أذى كثيرا:

قال هل فى السفور نفع يرجى　　قلت خير من الحجاب السفور
إن فى الاحتجاب شلا لشعب　　وخفاء وفى السفور ظهور
ليس يأتى شعب جلائل ما لم　　تتقدم إناثه والذكور
إن فى رونق النهار لناسا　　لم تزل عن عيونها الديجور

بعد أن أتم الملكان استجوابهما للميت عذباه عذاب القبر وأخذاه إلى الجنة ليجعلا من رؤيته لها عذابا له فوق عذابه. ثم أخذاه إلى الجحيم فقذفا به فى جحيمه فالتقى هناك بالأشقياء المعذبين أمثاله؛ وهناك قد جمع الألم المشترك بين القلوب المتباعدة، وكون العذاب بين المعذبين وحدة دفعتهم لأن يفكروا بالخلاص من عذاب الجحيم فعقدوا اجتماعا تبارى فيه الخطباء فى حض الجمهور المعذب على إنقاذ نفسه من بلاء الجحيم، فقام شاب من شباب الجحيم وألقى خطبة تحريضية حرض فيها الملايين المعذبة فى ذلك الجحيم على الكفاح ضد الظلم والاستبداد

قال يا قوم إننا قد ظلمنا　　شر ظلم فما لنا لا نثور
اجسروا أيها الرفاق فما نا　　ل بعيد الآمال إلا الجسور
إنما فاز فى الجهاد من النا　　س بآماله الكبار الكبير
قاوموا القوة التى غشمت والـ　　دهر ما دام للقوى ظهير

فتحمس سكان الجحيم حتى دفعت الحماسة أكثرهم رصانة كأبى العلاء المعرى فوقف هو الآخر يحرض الجمهور تحريضا عنيفا فقال:

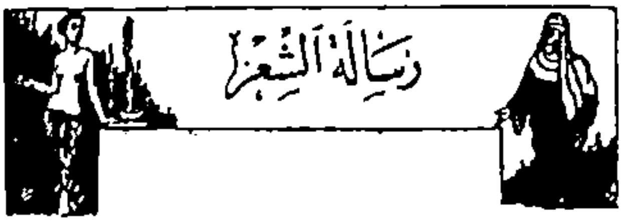
غصبوا حقكم فياقوم ثوروا　　إن غصب الحقوق ظلم كبير

فرد عليه الجمهور الحانق الناقم:

غصبوا حقنا ولم ينصفونا　　إنما نحن للحقوق نثور

وهنا قام سكان الجحيم قومة رجل واحد واندفعوا نحو الزبانية، ووقعت المعركة الحاسمة، فاحتل سكان الجحيم الجنة وأقاموا فيها منعمين مرفهين

حمدى الحسينى



رحلة فى وجوه الناس

صحراء العجائب

« إلى أصحاب الوجوه المستعارة... »

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

تجولت فى صحراء تلك العجائب
وفى سرها الطموس حول الحواجب
وعوذت نفسى قبل أن أبدأ السرى
لعلى أنجو من سموم العقارب
وقلت لعل الله ينصر رحلتى
فأغنم صيداً نادراً لحقائبى
وألقيت أشراكى لها وحبائلى
وسرت كحاو هام بين الخرائب
وتعويذتى الكبرى سكون يحوطه
تربص شيخ مل طول التجارب

* * *

أمامك ربى ا ذلك الوجه ربوة
تغنى بها الأطيار من كل جانب
تكاد تنادى العاشقين إلى الهوى
وتجرى لهم أسحارها فى المشارب
مزررة الأغصان بالعطر والندى
وهمس الصبا فى مرعشات الترائب
وتخفى دروباً فى الظلال لئيمة
بها الربيع ما أبقت حذاراً لهائب

مداد الحمى فيها أقام حبيبة
كريعات صب الموت فوق المعاطب
تجود به سماً نضيراً ممطرا
تدير به النجوى خدود الكواعب
وتجريه ضحاك الردى ، كل بسمة
تهب مع الساق بسهم وضارب
وقفت طويلا عند أعتاب روضها
وناديت رب الكون.. ماذا لصاحبي !
أجرني ! فهذا الوجه كم صدت سره
ولو كان معصوما بقدر الغياهب
فلم ألق إلا آدميا يسوءه
بجنبيه ذئب مستعار المخالب .

* * *

ووجه به وجهـــان : وجه مقنع
بآخر مدسوس بزى المناكب
يجارى وجوه الناس فى كل نظرة
ويسرب فى إعتامها كالثعالب
ذليل لما يصغى إليه ، فسمعه
خطام ذلول فى حبال كواذب
ترى طرفه عبداً لعينيك شارعاً
على أى حال من فنون التخاطب
تنوح فيهوى ، أو تصيخ فيمحى
ويصبح شيئاً من سكون الهارب
برت آية البهتان جلدة وجهه
مطايا رياء لا تضيق براكب
إذا قيل هذا الصخر ماء .. رأيته
يردد للينبوع شوق السباسب
وإن قيل هذا الماء نار .. رأيته
عليها مجوسيا عريق المذاهب
وإن قيل تلك النار فجر .. رأيته
أذان مصل هز سمع الكواكب

وإن قيل هذا الفجر قبر رأيته
من الثكل يستجدى دموع النوادب
تلاشى بلا موت ، وأودى بلا ردى
لعل بهذا النعش بعض الكاسب . .
أمانك ربى منه ! هـــذا منافق
أخف لقاء منه وجه المصائب
إذا انفردت بالله أبعاد نفسه
ـ وهيهات ـ يلقاه زهو المحارب
وإن مر جلاب الفتات ، رأيته
بلا أى ذنب ، فى سرابيل تائب
تقوس واستخذى على الزور ظاهره
وكبر لا لله ، بل للرغائب
فخلت صـــلاة لم يحن بعد وقتها
وظلا من الأوثان فوق المناصب . .

* * *

ووجه سراب البيـــد يخشى ظنونه
فيزور عن رؤياه خوف العواقب
يمـــر به مر الظنون كأنه
من الذعر صدق مر فى وجه كاذب
وغمن فى نجـــواه عرافة الضحى
فتنكت فى خط على الرمل خائب
يلم أجواز الفلا كيف تصطلى
لظلالها ود الرياح الحـــواصب
تمى على مرآته ، فهـــو صوبها
رؤى صـــدإ على الزجاجة هارب
يخـــادع حتى نفسه ، فطريقها
بجنبيه جب قامه فى الجـــوانب
تهدج ، واستحيا ، وهوم ، واختفى
بجفنين سمــــاوين تحت المسارب
لمحت فلاه من بعيد ، فصرصرت
بسمى رياح الحـــائل المتثائب

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوي

حقيقة التشويه العلمي في « الإشارات الإلهية » :

مرة أخرى نعود .. ولا مناص من هذه العودة لأنها استجابة لرغبة القراء . نعود لنكشف عن حقيقة « التشويه العلمي » الذي أحدثته عبقرية الفيلسوف الأول في « الإشارات الإلهية » .. ومعذرة من هذا التعبير الذي ينسب التشويه إلى العلم أو يجعل العلم منسوبا إليه ، لأن العلم هنا بدلالته الخاصة مقصور على الدكتور عبد الرحمن بدوي !

وقبل أن نكشف عن حقيقة هذا « التشويه العلمي » نود أن نقف قليلا لنقول كلمة أو كلمتين .. ترى هل قرأ الدكتور بدوي كتاب « كليلة ودمنة » ؟ إننا نشك كثيرا في أنه قد قرأ هذا الكتاب ، ومبعث هذا الشك أن في الكتاب فلسفة صادقة ، كان من الممكن أن ينتفع بها فيلسوف مصر الأول .. لو أنه التقطها من لسان بيدبا الفيلسوف ! ولسنا نريد من الدكتور بدوي إلا أن يرجع إلى هذا الكتاب ليخرج بشيء من الفلسفة الشرقية ، شيء بسيط لا يدق على فهمه كما دقت عليه أصول الفلسفة الغربية .. قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف : إضرب لي مثل الرجل يرى الرأي لغيره ولا يراه لنفسه . وجمع بيدبا الفيلسوف أطراف فلسفته ، وقص على الملك قصة مالك الحزين .. ورحم الله بيدبا الفيلسوف ، فلو كان يعيش بيننا في هذه الأيام مع دبشليم الملك ، لاستبدل بقصة مالك الحزين قصة عبد الرحمن بدوي !

إننا لا نعني قصته في « الإشارات الإلهية » فإن لها حديثا غير الحديث ، ولكن الذي نعنيه هو قصته الأخرى التي قادنا إليها كتابه الآخر : « أرسطو عند العرب » ، وهو مجموعة نصوص نشرها وحققها بطريقته المعروفة . وافتح الصفحة الرابعة والستين من هذا الكتاب ، وترفق برئتيك إن كنت من أصحاب الصدور

فقلت : معـاذ الله ! ضعف وقدرة
وليل ضياء فيه فجر غياهب ! ..

* * *

ووجه دعى الأفق ، لا شأن عنده
بما حط في أعماقه من مثالب
طغى فوقه شب الغرور ، فأنفه
كرمة طير كفنت بالطحالب
يشيع قضاء الله خزيا لحقه
وتهوى له حزنا شقوق الجنادب
تورم ، وانقدت من الصدر نفسه
فلم يبق منه غير تل الناكب
وغير سطور فوق كثبان وجهه
تشين من البهتان أقدس كاتب ..

* * *

ووجه سأل الله لامر ثانيا
ولا اتجهت يوما إليه مذاهبي ..

به سحنة الواشي ، لها سبع أعين
وسبع آذان ، وسبع حقائب
يطل كركب من بني الجن ظامئ
يحدج في نبع من الماء ناضب
ويصغي كحراس مشى في ترابهم
دبيب من الأوهام طاى الكتائب
وترحف كالثعبان آفاق سمعه
لتسترق ما تبغيه من كل صاحب
جزوع إلى الأسرار ، يلدق طيفها
كذئب قريب الناب ، حيران ، ساغب
وينبش في غيب المياد ، فلا ترى
له نظرة إلا برفش وحاطب
سألت له الرحمن .. قبرا كوجهه
تعيث به الآثام في كل جانب ...

محمود حسن إسماعيل

المضيئة ، قبل أن نطالعها ضحكة عريضة تملأ الفضاء العريض !

قال الدكتور عبد الرحمن بدوى وهو يتحدث عن منهجه فى نشر المخطوطات ، فى شئ من الفخر وشئ من السخرية ، الفخر « بعلمه » والسخرية من « جهل » غيره ، قال لا فض فوه وهو يعيد علينا قصة مالك الحزين ويذكرنا بمثل بيدبا الفيلسوف : « والمنهج الذى نتبعه فى النشر منهج بسيط ، وبقدر ما هو بسيط هو خصب دقيق معا : وهو أن نجيد قراءة المخطوط عن تدبر وحسن فهم (هكذا والله العظيم) ! . . وهذا مبدأ على الرغم من بساطته ووضوحه كثيرا ما أغفله الناشرون أو بالأحرى أجهلوا منه وكان من أخطاء فى تحقيق النصوص لم يكن السبب فيها إلا عدم إجادة القراءة ! وليس الأمر فى النشر أمر هــــذه المخطوطات و كثرة اختلافات القراءة ؛ إنما المهم أن تقدم للناس – على أساس ما تيسر لك من مخطوطات ، قلت أو كثرت أو كانت وحيدة – نصا جيدا يحاكى تماما ما فى الأصول المخطوطة بعد تدبرها تمام التدبير . فالذين مارسوا المخطوطات يعرفون أن ثمت أحوالا من إهمال النقط أو تشابك الحروف أو تقلب النقط من فوقها واضطرابها بين حروف الكلمة الواحدة أو الكلمات المتجاورات . ومثل هــذه الأحوال لايمكن أن تعد اختلافات فى القراءات ، إنما هى عوارض شخصية فى المخطوطات ، يجب أن يستقريها الناشر لنفســه أثناء قراءاته الأولى للمخطوطة ثم يعين – لنفسه أيضا – أحوال اطرادها حتى يتهيأ له جهاز تحليلى لحسن القراءة . وإلا فستكون النتيجة أن يضل القارئ إذا ما ذكر فى الجهاز النقدى كل ألوان الإهمال أو الهفوات الهينة لسقطات القلم ، فلا يستبين ما إذا كان بإزاء اختلاف قراءة أو مجرد مخالفة خطية أو قلمية تافهة ومفهومة .

ولهذا فلسنا نتردد فى اتهام أولئك الذين يلجأون إلى هذه الطريقة بالعجز عن فهم النصوص وقراءتها ، أو بالتمويه على القارئ بوضع جهاز نقدى ضخم محشو بهــذه الاختلافات المزعومة ليدخل فى روعه أن الناشر قد بذل مجهودا هائلا . والحق أنه لم يبذل شيئا أكثر من جهد النسخ والمسخ معا ، دون أن يبذل أى مجهود فى الفهم وتدبر المقروء . ومع ذلك تراهم يصيحون ملء أشداقهم ، وتصف ألسنتهم الكذب : إن هذا هو المنهج العلمى الصحيح ! مع أن الأولى بهم أن يسموه : منهج الإحصاء الآلى العاجز

ولكم رأينا فى مقارنتنا لبعض النصوص التى نشرها هؤلاء « الناشرون » المزعومون بالأصول المخطوطة التى نشروا مانشروا عنها أن ما ادعوه « تحريفا » أو « اختلاف قراءة » لم يكن فى الواقع إلا « سوء قراءة » من عيونهم وعقولهم » ! !

أنظر ! إن عبد الرحمن بدوى هنا يشرح لك طريقته فى نشر المخطوطات ، ثم يتخذ من هذه الطريقة دستورا يأمر الناشرين بأن يعملوا به ، مرتديا ثوب الأستاذية الوجيهة وسالكا نهج مالك الحزين ، ذلك الذى يرى الرأى لغيره ولا يراه لنفسه . ترى هل يتقبل الدكتور بدوى هذه الكلمات الرائعة ، هدية متواضعة ؟ ! إنها كلماته هو ، تلك التى وجهها إلى الناشرين الجهلاء . واستمع إليه معجبا ومقدرا حين يقول : « ولكم رأينا فى مقارنتنا لبعض النصوص التى نشرها هؤلاء الناشرون المزعومون بالأصول المخطوطة التى نشروا مانشروا عنها ، أن ما ادعوه تحريفا أو اختلاف قراءة لم يكن فى الواقع إلا « سوء قراءة » من عيونهم وعقولهم » !

لكم يهزنا هذا التعبير الأخير . حقا إن بعض العيون تسئ القراءة وكذلك بعض العقول ، ولكننا لم نر ولم نسمع أن عين ناشر أساءت القراءة كما أساءتها عين فيلسوف مصر الأول ، وقل مثل ذلك عن عقله إذا كنت من المنصفين ! هل رأيت فى حياتك ناشرا هو فى نفس الوقت أستاذ جامعى ، يعجز عن قراءة فقرات كاملة فى مخطوطة ، فيحذفها من النص بكل بساطة ولو تمزق التعبير واختل السياق ؟ ! لقد فعل ذلك العالم الجليل السيد بدوى فى « الإشارات الإلهية » . هل كانت الفقرات التى حذفها مطموسة أو ساقطة أو غير واضحة ؟ كلا والله العظيم ، ولكنه العجز المطلق والإستهانة بعقول الناس والعبث بالأمانة العلمية . ومعنى هذا أن المسألة مسألة مزاج فى إنطاق أبى حيان أو إسكات أبى حيان ، ورعى الله الأمزجة النادرة عند بعض الأساتذة الجامعيين ! !

لقد قلنا إن نشر هذا الكتاب بهذه الصورة فضيحة علمية ، وهذا هو أول ركن من أركان الفضيحة. ولو اقتصرنا عليه لما أنقص ذلك من حقيقة الإتهام .. وليت الدكتور بدوى قد وقف عراميه عند هذا الذى قلناه ، ولكنه مضى فى طريقه غير هياب ولا وجل ، تعبث عينه بقراءة الكلمات ويعبث عقله بتفسيرها فى

جرأة تذهل الأفهام ! ونخرج من هذا كله بأن الحس اللغوى عند الناشر لا وجود له ، وكذلك الذوق الفنى الذى ينظر إلى موضع الكلمة من السياق حين نرجى سلامة التعبير واستقامة التفسير ، وإليك بعض النماذج التى ننقلها بتعليقاتها عن صديقنا الكاتب المحقق الأستاذ سيد صقر ، مع صادق التهنئة له وخالص التقدير :

« ٢٠ – ص ٢٢ « فلا العلم باختلاف الأحوال نافع ، ولا الجهل به ضار ، بل ربما ضر العلم ، وربما نفع الجهل ، وربما نيل بالخنط ، وربما فات بالتأنى ، وربما بعد الدانى ، وربما قرب النائى . »

قال الدكتور ، وما أغرب ما قال : « نبل . التقط النبل ، ثم دفعها إلى الرامى ليرمى بها من جديد والخنط : النبل يرى بها . والمعنى أنه ربما يلتقط النبل بالنبل ، أى يداوى الداء بالداء نفسه »!.

ماذا أقول فى نقد هذا الشرح العجاب ؟ أقول إن مثل هذا الفهم هو الذى شحذ عزم أبى حيان على حرق كتبه بالنار وغسلها بالماء ، وجعله يقول لمن لامه على صنيعه : « فشق على أن أدعها لقوم يتلاعبون بها ، ويدنسون عرضى إذا نظروا فيها ... وإن عيانى منهم فى الحياة هو الذى حقق ظنى بهم بعد المات » !

رحمك الله يا أبا حيان، فقد كنت ترى الغيب من وراء حجاب ، وجاء من بعدك من يصحف عليك صحيح كلامك ويخبط فى فهم معناه خبط عشواء ، بل ولا يحسن قراءته . جاء فى النسخة المخطوطة : « وربما نيل بالخبط ، وربما فات بالتأنى ... » أى وربما خبط الإنسان فى ابتغاء مراده خبط عشواء فناله ، وربما تأنى لنيله أشد التأنى ففاته ولم يدركه

ومن أعجب العجب أن ناسخ الكتاب قد احتاط ، ووضع كسرة ظاهرة تحت نون « نيل » حتى لا يخطىء فى قراءتها إنسان . وصدق أبو حيان فى نعته الذى تتمثله فيمن تراهم بين ظهرانينا ممن نالوا بالخبط درجات العلماء !

٢٠ – ص ٣٦ : « وسقيا للرسائل التى كانت تجرى بيننا وبينكم ، نعم ورعيا للوسائل التى كانت تتردد عندنا وعندكم ، والوشاة على خيبتها فى الظفر بتأذيكم » قال الدكتور فى تعليقه : « فى الأصل بتاويكم ، أو صوابه : بناديكم »

ولا معنى « لظفر الوشاة « بتأذيكم » أو « بناديكم » .. ويبدو لى أن صواب الأصل « والوشاة على خيبتها بتناويكم » !

٢٣ – ص ٣٥ : يخاطب أبو حيان الإنسان المبتدع بالقدرة الإلهية المحفوف بالنعم الملكية ، ويطلب إليه أن يتأمل مواقع آياته فيه ، ويستنطق شواهد آثاره عليه ويقول له : « أنظر بأى فضل خصك . وأى ملك قلدك ، وأى مشرب صفّى لك ، وبأى لطف حاشك، وبأى شئ سكّر جاشك ، وبأى صنع أزال استيحاشك ولأى أمر أعاشك » ثم يشرح أبو حيان ما ذكره ، فيقول : « قلدك ملكا هو نهاية آمالك ، وصفى لك مشربا متى كرعت منه لم تظمأ بعده ، وحاشك بلطف هو الذى جعلك مغبوطا فى حالك ، وسكر جاشك بشئ هو الذى أنالك مرادك ، وأزال استيحاشك بصنع أدركت به كل آمالك .. »

ومن العجيب حقا أن يقول الدكتور فى شرح قول أبى حيان « وبأى لطف حاشك ، وبأى شئ سكر جاشك » : « حاشك هنا بمعنى اصطادك ، وسكره بتشديد الكاف تسكيرا: أى خنقه . والجاش : نفس الإنسان » !! .. وأى عجب أعجب وأغرب من أن يقول أبو حيان للانسان الذى يذكره بنعم الله عليه: أنظر كيف خصك بالفضل فاصطادك وخنق نفسك « بشئ » هو الذى أنالك مرادك » !!

وصواب قول أبى حيان « وبأى شئ سكن جاشك » و « سكن جاشك بشئ هو الذى أنالك مرادك » .. ولا ريب فى أن « سكون النفس » من أنعم الله الخليقة بالتدبر ، الجديرة بالتأمل . وأما « اصطياد النفس وخنقها » فمصيبة كبرى ، ولعل فى حشره بين أنعم الله التى حف بها عباده سرا فلسفيا دقيقا يدق على الأفهام ، وتقصر عنه المدارك والعقول !!

١٢ – ص ٢ : يقول أبو حيان . « يا هذا إن كنت ثاكلا فتحٌ على ما أصبت به ، وإن كنت مكروبا بالسر فبُح » أخطأ الدكتور فى ضبط هاتين الكلمتين كما أخطأ فى شرح المعنى ، إذ يقول : « أى ألق على مصابك » !!! والصواب فنُحْ على ما أصبت به » ، ويؤيده قول أبى حيان فى ص ١١٣ : « ونح على نفسك نوح الثكول » . وهذا هو البيان الصريح واللفظ الصحيح كما قال أبو حيان فى ص ٢٩٤ ، فمن أخطأه فليقرأ تمام كلامه فى الصفحة نفسها ، فإنه يقول : فأطل البكاء ،

وأجدْ الالطم ، وتجرع مرارة الكأس ، المترعة بالحسرة واليأس . وليت البكاء نفعك ! وليت النوح أجدى عليك ! وليت الحسرة أفادتك ! وليت الندامة نفعتك ! هيهات ! فت" فوتا لا درك بعده ، وبدت بيودا لا عود معه ، والعثرة غير مقالة ، والمحنة غير مزالة ، والحال غير محاله ... »

٦ — ص ١٧ : يقول أبو حيان مخاطبا أحبابه : « فارعوا ذمام خدمتى لكم ، وحافظوا على ما تحملت فيكم ، فقد شربت العلقم فى هواكم ، وداريت العدى محملا لكم ، ولزمت الصمت حتى نسيت الكلام ، واعتزلت حتى قيل هو من الوحش ، وغمضت الطرف حتى قيل هو من العميان »

قال الدكتور عبد الرحمن بدوى فى شرحه : « الكلام هنا بمعنى علم الكلام ، والقرينة فى قوله : اعتزلت ، أى صرت من أهل الاعتزال أو المعتزلة ، واعتزلت بعدها بمعنى توحدت وانفردت » !!

هذا شرح مضحك حقا ؛ فإن أبا حيان لم يرد بالكلام إلا معناه المعروف للعامة والخاصة . ولست أدرى كيف فهم الدكتور أن أبا حيان نسى « علم الكلام » لما لزم الصمت . وما العلاقة العجيبة بين هذا الصمت وعلم الكلام ؟! وكيف تكون « اعتزلت » بمعنى توحدت وانفردت ، قرينة على أن المراد بالكلام « علم الكلام » وما الصلة بين التوحد والانفراد وبين مذهب الاعتزال ؟ لست أدرى .. ولعل هناك صلة فلسفية لا يدركها إلا عقل فيلسوف !

٧ — ص ٢٣٦ : « نعم يا سيدى إن الحديث من القِرَى »
أخطأ الدكتور فى ضبط كلمة « القرى » ونقطها وشرحها وقال « الفرى كغنى ، يقال هو يفرى الفرى : أى يأتى بالعجب فى عمله » !

والصواب : « إن الحديث من القِرَى » وهو تعبير مشهور متداول فى كتب الأدب ، قال الشاعر :

لحاف لحاف الضيف والبيت بيته ولم يلهنى عنه غزال مقنع
أحدثه إن الحديث من القرى وتعلم نفسى أنه سوف يهجع

راجع حماسة أبى تمام ٤ـ٢٤٤ ، وقال آخر :

ورب نضو طرق الحى سرى صادف زادا وحديثا ما اشتهى
إن الحديث جانب من القرى

وأظن أن قرى الأضياف بين لا يحتاج إلى شرح نظرى !

٨ — ص ٣٤٨ ، ٣٤٩ : يقول أبو حيان فى الحديث عن قصر العمر : « فما لبثنا فى هذه البلدة الوبيئة الحرجة إلا .. كحلم النائم فى الليل ، أو كظل قد أخذ فى النقصان ، أو كالنقابة من مول ، أو كتوهم من النفس ، أو كلمح البصر أو هو أقرب »

قال الدكتور : « النقابة بفتح النون : مصدر نقب على القوم من بابى علم وكرم : صار نقيبا عليهم ، أو النقابة بالكسر : الاسم ، وبالفتح المصدر » !!!

ويبدو أن الدكتور لم يحسن قراءة الكلمة فى المخطوطة . فأخطأ فى نقطها وشكلها وشرحها خطأ بعد بها عن المعنى .. والصواب : « أو كالتفاتة من مول » فإن قصر الالتفاتة من الذاهب المولى المتلفت إلى ماوراءه، هو المناسب للمح البصر وماقبله من تشبيهات ، وأما قصر مدة نقابة النقيب فشئ غير معروف ولا معنى له ، « معذرة يا أستاذ صقر ، فهو معروف فى نقابة المحامين والصحفيين !! » ، ولست أدرى كيف استساغ الدكتور قرنها بحلم النائم ولمح البصر فى مضمار التشبيه !

١٠ — ص ٤ : يقول أبو حيان : « وإن جنحت إلى التوانى ، وذهبت فى آفاق الأمانى ، لم ترث من حالك إلا حسرة ولم تمتع بفمك إلا جرة ، يا هذا خفض أسى عما ساءك طلابه :
« ما كل شائم بارق يسقاه »

حسب الدكتور أن هذا النص نثر كله وليس فيه من الشعر إلا الشطر الذى أفرده فى سطر وحده ، وليس الأمر كما حسب ؛ فإن آخر نثر أبى حيان كلمة « ياهذا » ، وما بعدها بيت من الشعر تمثل به وهو :

خفض أسى عما شآك طلابه ما كل شائم بارق يسقاه

فساءك محرفة من « شآك » ، والبيت للبحترى كما فى ديوانه ٢ ـ ٣٢٣ وقبله :

والشئ تمنعه يكون بفوته أجدى من الشئ الذى تعطاه

« معذرة مرة أخرى يا أستاذ صقر ، لأن الدكتور بدوى

لا يحفظ من الشعر إلا أجدره بالخلود . أعنى شعر ديوانه الخالد مرآة نفسى » !!

ه ه ه

هذه هى بعض النماذج نقلها إليك كما قلنا من المقالين اللذين كتبهما الأستاذ صقر ، وكشف فيهما عن مهزلة التحقيق العلمى فى « الإشارات الإلهيـة » .. ومع ذلك يقول فيلسوف مصر الأول فى كلمته التى اقتطعناها من كتابه الآخر « أرسطو عند العرب » يقول فى جرأة يحسده عليها الناشرون الزعومون : « والمنهج الذى نتبعه فى النشر منهج بسيط ، وبقدر ما هو بسيط هو خصب دقيق معا : وهو أن نجيد قراءة المخطوط عن تدبر وحسن فهم » !

ألم نقل لك ترفق بثنتيك إن كنت من أصحاب الصدور الضعيفة ، قبل أن تطلقها ضحكة عريضة تملأ الفضاء العريض ؟! ألم نقل لك إن نجيب الريحانى الذى كان نابغة عصره فى إضحاك الناس لم يمت ، لأن عبد الرحمن بدوى قد ملأ مكانه بجدارة ؟! إذا كنت فى شك من هذا فارجع إلى النماذج السابقة التى تعرض لها الأستاذ صقر ، ثم قف طويلا عند هذا النموذج الذى لم يتعرض له بعد ، لأننا نقدمه إليك على أنه « نكتة الموسم » التى تنتزع الضحك انتزاعا من أفواه الثاكلين :

إفتح الصفحة السادسة والأربعين بعد المائة من كتاب « الإشارات الإلهية » ، وأقرأ فى نهايتها قول أبى حيان المفترى عليه « فقد جمدت العيون فما تدمع ، وتكبرت القلوب فما تخشع ، وكلبت البطون فما تشبع ، وغلبت الشقوة فما تنزع ... ياهذا ، إننا نتنفس بهذه الكلمات كما يتنفس الملوق »

قال العالم الجليل السيد عبد الرحمن بدوى فى شرح كلمة الملوق : « إما أن يكون من ملق (من باب نصر) فلانا بالعصا : أى ضربه ، ويكون المعنى هو : المضروب ؛ وإما — وهذا هو الأرجح هنا — من قولهم فرس مملوق الذكر : حديث عهد بالنزاء » !!!

صدقنى إذا قلت لك عن عبد الرحمن بدوى إننى أشك فى سلامة عقله . أشك فى سلامة عقله ولا يمكننى أن أشك فى سلامة عقل أبى حيان ، لأن أبا حيان ليس مجنونا حتى يقول للناس إنه يتنفس بهذا الكلام كما يتنفس ذكر الفرس عقب لحظة من لحظات النزاء . هل عند نجيب الريحانى نكتة تستطيع أن تقف على قدميها لتنافس نكتة الدكتور عبد الرحمن بدوى ؟ ! لا أظن . . ولا أحسب أن فى هذه الكلمات شيئا من المغالاة !

هل انتهيت ؟ كلا . فما زالت أمامى القدمة التى كتبها الدكتور بدوى وضم فيها أبا حيان إلى زمرة الأدباء الوجوديين ! وحين ينتهى الأستاذ صقر من سلسلة مقالاته ، سنبدأ نحن سلسلة مقالاتنا حيث نطالب بعدها بحرق هذا الكتاب ، وما أكثر ما يملك الدكتور بدوى من كتب تستحق الحرق بالنار بعد الغسل بالبنزين !!

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

رسائل الرافعي :

في سنة ١٩١٢ كان الأستاذ محمود أبو رية أديباً ناشئاً ، وقد أعجب بالأديب الكبير الأستاذ مصطفى صادق الرافعي ، فاتصل به عن طريق المراسلة ، حتى نمت العلاقة بينهما وصارت صداقة ومودة . كان أبو رية يكتب إلى الرافعي يسأله عن كثير من شؤون الأدب ومسائله ، فيجيبه برسائل تحتوي على كثير من الآراء والملمحات في إيجاز تقتضيه طبيعة الرسائل الخاصة ، وكان الرافعي يرسل نفسه على سجيتها في هذه الرسائل لايكاد يخفي شيئاً من نوازعه وخواطره

وقد ظفر الأدب من تلك المراسلة بهذا الكتاب « رسائل الرافعي » الذي أصدره أخيراً الأستاذ محمود أبو رية ، مشتملا على ٢١٨ رسالة انتقاها من بين ما كتب إليه الرافعي « لما فيها من فوائد جليلة للأدب والتأديب بله ما تحتوي عليه من تفصيل شامل لتاريخه الأدبي وغير الأدبي » كما قال في مقدمة الكتاب . وقد عنون لها بما يدل على أهم ما فيها ، ورتبها ترتيباً زمنياً ، يبدأ من سنة ١٩١٢ إلى سنة ١٩٣٤ ، فجاءت (فلما) يعرض أطرافاً من حياة الرجل الشخصية والأدبية وملامح من تيارات الحركة الأدبية في مصر طيلة تلك الفترة من الزمان . والقيمة الكبرى لهذه الرسائل هي أنها تصوير صادق لنفسية الرافعي ودوافعه الأدبية ، وفيها إلى جانب ذلك تلك الفوائد الأدبية التي أشار إليها الأستاذ أبو رية ، وفيها أيضاً إشارات كثيرة إلى ما كان بين الأدباء في ذلك الزمان من مجاذبات يلونها الرافعي بعاطفته الخاصة ، إذ كان يقف من أكثر أدباء الجيل موقف الخاصم المنافع ، وقد أحسن الأستاذ أبو رية بحذف بعض العبارات القاسية التي وصف وعبر بها عن أولئك الأدباء ، والاكتفاء بالخفيف المقبول منها . وفي الرسائل كلها روح لطيف ممتع ، هو روح الطبيعة الطلقة غير المتحرجة ، إذ أن كاتبها لم يكن يقدر — ولاشك — أنها ستنشر على الناس

في هذا الكتاب يبدو الرافعي «وراء الكواليس» كما يعبرون بلغة المسرح .. فهو يحدث أبا رية عن مؤلفاته ومقالاته ، لم كتب هذا أو ذاك ، وما وقعه ، ومتى يكتب مقال كذا أو يشرع في تأليف كذا ، ويحدثه مع ذلك عن آلامه وأمراضه ومنها ما ناله بسبب الكتابة ... إلى آخر هذه الملابسات . ومما يستشفه القارئ من هذه الرسائل ، اعتزاز الرافعي بأدبه اعتزازاً يبلغ به درجة الغرور ، ومحبته السافرة للتقريظ والثناء ؛ فهو يرى أنه — وحده — أديب الزمان ، وسائر ما يكتبه الأدباء « تدجيل محض » لم يكد يسلم من تجريحه أحد من أعلام الأدب في عصره ، وهو يحدث أبا رية عن حملاته الأدبية وكيف أنها نسفت من نازلهم أو أنه سيكتب عن فلان ما لن تقوم له بعده قائمة ، ويتمنى أن يتفرغ للنقد نحو سنتين أو ثلاث ليهدم العصر كله من جميع نواحيه الضعيفة ويبني عليه أدباً جديداً ، ولقد كان ذلك رأيه في الوقت الذي بلغ فيه الأدب المصري الحديث أعلى ما بلغه من القوة والازدهار ، ولقد كتب هو في النقد فكانت كتابته أقرب إلى الشتم والهجاء وخاصة ما كان يسميه « السفافيد » التي كان يشوي عليها من عزق لحومهم . .

وهكذا نرى الرافعي في هذه الرسائل يعد نفسه فارس الحلبة ، ويرى أنه وحده الواقف في الميدان ، وهو يصرح بذلك في هذه الرسائل الخاصة ، وكان حياؤه ولباقته وفطنته تمنعه من هذا الادعاء في أدبه العام . ولعل ذلك راجع إلى ما كان يراه من تقدير الناس لغيره أكثر منه ، فهو يحاول أن يعوض هذا النقص بلسانه في الخفاء ، وإن لم يتقل به في الملن . .

وهو يحب الثناء ويطلبه ، يطلب من أبي رية أن يكتب عن كتبه في الصحف ، ويسر كل السرور من تقريظ المقرظين ، بل هو يجعل الثناء عليه مقياساً لقيمة المثني . وهو لا يرى أدبه أحسن من الأدب المصري الحديث فقط ، بل يفضل بعض كتبه ومقالاته على ما كتب الأقدمون ، وعلى ما كتب كتاب الغرب

مثل برجسون وشكسبير ولامرتين

وبعد فقد أحسن الأستاذ محمود أبو رية بإخراج هذا الكتاب القيم الممتع الذي أضاف به لونا طريفاً إلى كتب الأدب

ضبط الكتابة العربية :

ألقى الأستاذ محمود تيمور بك محاضرة في «ضبط الكتابة العربية» بإحدى جلسات مؤتمر المجمع اللغوي الماضية، وقد بسط فيها المصاعب التي تعترض ضبط الكتابة العربية على صورتها الحالية، مما يؤدي إلى الخطأ في نطق الكلمات وتعذر القراءة الصحيحة، لا على عامة المتعلمين فقط، بل إن المختصين في اللغة لا يستطيعون الضبط التام إلا باطراد اليقظة ومتابعة الملاحظة ومزيد التأني

وبعد أن جال الأستاذ تيمور بك في نواحي هذه المشكلة، عرج على ما اقترح لها من حلول فبين عدم صلاحها، وخاصة أنها إما تباعد بين الشكل القديم المألوف والوضع المقترح أو تثقل العمل الطبعي وتعقده، ذاهباً إلى أن الإجراء الذي يمكن أن نكفل له قبول الأمة العربية في جملتها، هو أن يكون لمشكلة الكتابة العربية حل لا تتغير به الحروف القائمة ولا تتنكر معه صورتها المألوفة

ثم أبدى الأستاذ ما يقترحه من حل، قائلا: أرى أن نقتصر من صور الحروف على صورة واحدة، من الصور المتعددة التي منها المفرد ومنها ما يقبل الاتصال بحسب أول الكلمة ووسطها وآخرها وبحسب وقوع الحروف في بنية الكلمة المركب بعضها فوق بعض، وأن نتخذ علامات الضبط المتعارفة التي يجري بها الاستعمال، وأقترح أن تكون الصورة التي تقتصر عليها من صور الحروف هي الصورة التي تقبل الاتصال من بدء الكلمات، وهي التي يسميها أهل فن الطباعة: حروفاً «من الأول»، على أن تختار الكاف المبسوطة وتظل حروف الألف والدال والذال والراء والزاي والواو والتاء المربوطة واللام ألف — باقية على صورتها في حالة إفرادها

وقدم الأستاذ مثالا للطريقة التي يقترحها، منه ما يلي:

«أرى أن نقتصر من صور الحروف على صورة واحدة»

ويرى قراء الرسالة هذا البحث القيم منشوراً في هذا العدد والذي قبله. وقد التقيت بالأستاذ تيمور بك وحدثته في أمر هذه الطريقة من حيث ما يلقاه الذين اعتادوا الكتابة الحالية من مصاعب في الكتابة الجديدة، فقال إن هذه الطريقة خاصة بالمطبعة، أما الكتابة باليد فتظل على حالها، أسوة بما يجري في اللغات الأوربية

ولكني ألاحظ أن الكتابة الأوربية اليدوية تشتمل على حروف

كشكول الأسبوع

□ يهم معالي الدكتور طه حسين باشا بتنفيذ رغبة ملكية كريمة في إنشاء جوائز لتعميم الفنون الجميلة تسمى «جوائز إسماعيل» أسوة بجوائز فؤاد وفاروق للعلوم والآداب.

□ ذكر مندوب الأهرام أن هناك اقتراحا يبحث الآن لإنشاء جائزة عامة باسم «محمد علي» يشترك فيها المؤلفون بالأمة العربية، على غرار النظام الخاص بجائزة نوبل، وذلك لحفز أدباء العالم العربي على التأليف والترجمة.

□ اقترح معالي السيد محمد رضا الشبيبي في مؤتمر المجمع اللغوي، وضع معجم الألفاظ القرآن الكريم يشرح فيه ماورد في القرآن من الأعلام كأسماء الرسل والبلدان على وجه يتلاءم مع الحقائق والمعارف العلمية إلى جانب المعجم اللغوي لألفاظ القرآن الكريم.

□ واقترح الأستاذ عباس محمود العقاد تأليف موسوعة للقرآن الكريم على مثال ما ألف لغيره من الكتب الدينية، تجمع أسماء الطيور والنباتات والمدن الواردة في القرآن، على أن يقوم بذلك أساتذة مختصون كل في دائرة اختصاصه

□ تحدثت في الأسبوع الماضي عن ضرورة تقديم روايات مؤلفة في برنامج فرقة المسرح الحديث. وأذكر الآن أن في برنامج الفرقة الحالي بمسرح الأزبكية روايتين إحداهما مقتبسة ممصرة والأخرى مؤلفة.

□ من طرائف ندوة الأستاذ كامل كيلاني ما رواه سعادة الأستاذ فؤاد شيرين باشا من أن جماعة من رجالات مصر كمحمد عبده وسعد زغلول — كانوا يجتمعون في مكان ما ويطلقون أنفسهم على سجيتها في المرح والدعابة بقصد الاسترواح والاستجمام، وكانوا يطلقون على أنفسهم «جماعة المتمصرين» فسمع بهم أحد الكبراء وأراد الانضمام إليهم، فأبدى رغبته في ذلك لمحمد عبده، فقال له الإمام: إننا - جماعة المتمصرين - لا نقبل الحمير الأصلاء!

الضبط كما تشتمل عليها الكتابة الطبعية ، بخلاف ما تكون عليه الحال في الكتابة العربية المقترحة ، فيكون الشبه من حيث الشبك وعدمه فقط

وأرى أن أهم اعتراض يوجه إلى تلك الطريقة ، أن عمال الصف في المطبعة لن يستطيعوا صف الكلمات مشكلة وهي مكتوبة لهم مهملة ، فإذا كلفنا الكاتبين المطبعة أن يشكلوا لقوا في ذلك جهداً وعنتاً ، ولا يخفى مع هذا أن أكثرهم لا يعرفون ضبط كثير من كلمات اللغة ، وكم يستر عدم الشكل من جهل !

مسرحيتا الجلف ومريض الوهم

جاءت « فرقة المسرح المصري الحديث » جولتها الأولى على مسرح الأوبرا الملكية في شهر نوفمبر الماضي؛ إذ قدمت مسرحيتي « ابن جلا » لتيمور و « البخيل » لموليير ، وقد حدثت القراء عنهما في ذلك الوقت . وهاهي ذي تبدأ جولتها الثانية على مسرح الأزبكية ، لتقدم في حفلة واحدة مسرحيتي « الجلف » لتشيكوف و « مريض الوهم » لموليير ، وهما من إخراج الأستاذ زكي طليمات وقد بدأت يوم السبت الماضي

قدمت أولا « الجلف » وهي تمثيلية قصيرة تستغرق نحو خمسين دقيقة ، تظهر في منظر واحد تبدو به السيدة الشابة « بوبوف » في ثياب الحداد على زوجها المتوفى منذ سبعة أشهر ، وهي على رغم ذلك تبكي وتنشج حزناً عليه ، وهذا أيضاً على رغم أنه كان يخونها ويهملها أحياناً ، كما تقول في مناجاة صورته . ويتهجم عليها هذه المنزلة رجل ثائر يطالبها بدين كان له على زوجها ، وهو يستعمل في مطالبته العنف وعدم المبالاة بما يحسن في مخاطبة النساء ، بل ينهال عليها وعلى جنس النساء شتماً وتقريعاً ، كل ذلك لأنه يريد دينه اليوم وهي تستمهله إلى بعد غد . وتنشب بينهما مشادة يدعوها فيها إلى المبارزة . . أليس « جلفاً » ؟

ويأخذ تشيكوف (مؤلف المسرحية) في معالجة الموقف بحيث يحمل الميل والاستلطاف يداخلهما فيجتاز بهما البرزخ الدقيق الذي بين الكره والحب . . فينطلقان بعبارات الثورة والغضب وهما يشعران بالحب ، فلا ينزل الستار عليهما إلا حبيبين

فالصراع في المسرحية بين حالتين لدى كل من الجلف والسيدة بوبوف ، فالأول جرب النساء واقتنع أنهن لا يستحققن الاهتمام ، ولكنه يجد نفسه أمام امرأة تغزو قلبه من جديد ؛ والأرملة المتفانية في الحداد على زوجها وقد اعتزلت الناس لا تستطيع مقاومة هذا المقتحم الجبار ، ويخيل إلى أن المؤلف فتح لها الباب إلى هذا الحب الجديد بأن زوجها كان يخونها ويهملها

ومما تبطنته المسرحية ، الالتفات إلى ما تطالب به المرأة من مساواة الرجل ، فلتكن المبارزة من قبيل المساواة التي تطلبها . . كما يقول الجلف مبررا خشونته وقسوته

وقد قامت ملك الجمل بدور السيدة بوبوف ، فأثبتت قدرتها على تمثيل العواطف الدقيقة، وقام محمد السبع بدور الجلف فأجاد، وأظهر ما في إجادته أنه كان يبرز الانتقالات المختلفة في الموقف الواحد بتعبير الإلقاء والحركة . ومثل أحمد الجزيري « لوكا » الخادم العجوز فقام به على وجه لا بأس به

ثم قدمت بعد ذلك مسرحية « مريض الوهم » فاستغرقت بقية الوقت . ومريض الوهم هو السيد (أرجان) الذي يعتقد أنه مريض وأن لا حياة له بغير الطب والأطباء، على حين يبدو في غاية الصحة والعافية . وهو لذلك يريد أن يعقد الأواصر بينه وبين الأطباء كي يولوه عنايتهم،ويصل به الأمر إلى أن يحاول التضحية بسعادة ابنته (أنجليكا) إذ يريد أن يزوجها بالطبيب (توما) غير عابئ بحبها للشاب (كليانت) الذي أغرمت به وأغرم بها . وتظهر مع مريض الوهم الخادمة (توانيت) التي تعنى به ، وهذه الخادمة تقف على دخائل هذه الأسرة وخاصة موقف السيدة (بلينا) من زوجها مريض الوهم الذي تخدعه بإظهار الحب له والعناية به وتتحايل على استلاب ماله والتخلص من ابنتيه إذ تشير عليه بإدخالها الدير . وتعمل الخادمة (توانيت) على إصلاح هذه الأسرة فتحل مشاكل أفرادها بتدبيرها الموفق ، فتظل تساير الرجل في ميوله وتسخر منه أحياناً . ويأتي إليه أخوه (بيرالدو) الذي يخالفه في الثقة بالأطباء ، فينتقد مسلكه ويحمل على الأطباء ويؤكد له أنه في صحة جيدة ، ومما يدل على أنه في غاية الصحة أن أدوية الأطباء لم تؤثر فيه ولم تقض عليه إلى الآن . . وتعمل (توانيت) على ذلك أيضا من ناحية أخرى

وبأسلوبها الخاص من حيث الاحتيال وتدبير المفاجآت . وينتهى الأمر بأن يقتنع السيد أرجان أنه يستطيع هو أن يكون طبيبا . ولا يكلفه ذلك إلا أن يلبس المعطف والقبعة ويحفظ بعض الأسماء اللاتينيـة وينطقها كما ينطق بها هؤلاء الأطباء الذين لا يفضلونه ولا يزيدون عنه علما

تصور المسرحية – إلى جانب تحليل نفسية مريض الوهم – دجل الطب وشعوذة الأطباء فى عصر موليير قبل التقدم العلمى فى العصر الحديث . وقد قدم نماذج عجيبة من الأطباء وسخر بهم وأضحك منهم . ولا بد أن كان لهذه المسرحية فى وقتها وقع عظيم لأنها تعالج ناحية كانت ظاهرة فى ذلك العصر ، ومع أن تلك الظاهرة غير موجودة الآن فإن البراعة فى تصوير الشخصيات ، وتنكر شخصية مريض الوهم فى الصور المختلفة ، وسياق المآسى الإنسانية فى أغلفة الفكاهة – كل ذلك يكسبها جدة وقوة فى كل وقت

وقد مثل مريض الوهم عدلى كاسب ، وكان ملائما للدور كل الملاءمة ، فاندمج فيه . ومثلت الخادمة (توانيت) سناء جميل وهى فتاة تمتاز بالحيوية والقوة فى تمثيلها . ومثل (كليانت) صلاح سرحان فكان قويا فى موقفه وقد استطاع بقوته الجدية التى يتطلبها موقفه أن يثبت بجانب الشخصيات الفكاهية الطافية ، مثل سعيد أبو بكر الذى مثل (توما) والذى فجر الضحك من أعماق الجمهور ، ومثل أحمد الجزيرى الذى مثل الطبيب الأكبر والد (توما) وقد كان الجزيرى هنا أحسن منه فى مسرحية (الجلف) واستطاع عبد الغنى قمر أن يفنى فى شخصية المسجل العجيبة رغم ما فيها من تعقد والتواء . وقامت زهرة العلى بدور (انجليكا) فكانت معبرة فى مواقفها المختلفة وقد تحسن إشباعها للنطق العربى عن ذى قبل وقامت سميحة أيوب بدور الزوجة الخادعة الناعمة ، وأعتقد أن الدور كان يتطلب منها أكثر مما بذلت . وقام محمد السبع بدور أخى مريض الوهم ، فلم يحسن فيه بمقدار ما أحسن فى دور (الجلف) مع أنه كان يتحدث عن آراء موليير فى الطب والأطباء ، فلم يف تمثيله بأهمية الدور

وجهد الإخراج فى هاتين المسرحيتين يتجلى فى الممثلين والممثلات أنفسهم ، فإن الأستاذ زكى طليمات يخرجهم كما يخرج الرواية ، وقد أحسن تنسيقهم على المسرح ، واجتهد فى تحسين المناظر وتجديد الأثاث البالى الذى عرف به مسرح حديقة الأزبكية . ولكنى لاحظت أشياء صغيرة فى منظر مسرحية (الجلف) فهناك مكتب أعتقد أن فى (سوق الكتبة) ما هو خير منه . . وإطار مرآة يحيط بغير مرآة ... ومع ذلك فقد كان البطلان ينظران فيه . . وقد أمسكت السيدة بحبل معلق بجدار الغرفة لتستدعى الخادم والمفروض أن الحبل متصل بجرس فى الداخل ولكن لم يسمع أى صوت لهذا الجرس

ولا يستطيع القلم أن يمسك عن الكتابة قبل أن يزجى التحية إلى هذه الفرقة التى أنستنا أنها ناشئة ، وقبل أن أبدى الإعجاب بهذه الروح التى تشيع فيها فتجعل كل فرد منها يعمل لإنجاح الجميع ، وقبل أن أعرب عن سرورى ببدء . حياة جديدة للمسرح المصرى

عباس خضر



ردا على رد :

في عدد سابق من الرسالة الغراء كنت كتبت في (البريد الأدبي) كلمة حول مقال للأستاذ الخطيب الطبيب حامد الغوابي في صدد كلامه على الخمر وقصر العمر وإحصائيات شركات التأمين على الحياة .. وقلت فيها إن العمر لا يقصر بشرب الخمر مستشهدا بقوله تعالى «وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا» . وقد تفضلت (الرسالة) فأوجزت ردها البليغ باستشهادها بقول الله تعالى : «وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب» وكنت ارتحت إلى رد الرسالة ولم أشأ التعقيب عليه لأنه الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ولكن الأستاذ الدكتور الغوابي يتفضل بعد أن تفضلت الرسالة فيعلق على ما كتبته وما كتبته الرسالة زيادة منه في الإيضاح والإفصاح .. ونحن نشكر للأستاذ تفضله الجميل النبيل، ولكنا نختلف معه في قليل مما كتب وبه عقب ؛ نختلف معه في أن شارب الخمر قد يطول عمره على شارب الحديد والكينا وأنواع الأدوية والعقاقير .. وقد يولد التوءمان فيشرب أحدهما الخمر من شبابه إلى مشيبه ويزهد الآخر فيها ، ومع هذا يطول عمر الشارب ويقصر عمر الزاهد فيموت هذا ليمتد العمر بذاك ليشرب ويشرب سنين وسنين ..!

وقد يدهس (الترام) — كحد قول الدكتور — رجلين : شارب خمر وزاهداً فيها فيموت الزاهد وينجو الشارب ..

وقد يلقى مهوسان أرعنان بنفسيهما من حالق أو شاهق فيموت القوي والضعيف لا يموت ..

وقد يمتد العمر بالدليل الهزيل ولا يمتد بالقوي الصحيح لسبب ظاهر أو لآخر يعلمه الله .. وقد . وقد

وإذاً فمن الواجب على الكاتب أو الباحث أو الطبيب ألا يخلط بين (العمر) و (الصحة) ، وبين القضاء والدواء. فالدواء لا يمد في العمر إذا حل القضاء، وإنما يخفف من وطأة الألم والداء بإذن الله. والأجل إذا حل حل معه الموت الوحي بالرغم من كل داء وكل دواء ..

والله سبحانه وتعالى حين حرم الخمر في كتابه المنزل بين أن «إثمها» أكبر من «نفعها» ولم يحرمها لأنها تقصر العمر فلا يطول .

والخمر في الجاهلية الأولى معروف أمرها بين القوم ، ومن الجاهليين الشاربين من امتد به العمر حتى ذرف على المائة أو الاثنين فعد في المعمرين . وفي الجاهلية الآخرة — أعني في هذا العصر الحديث — نجد مصداق ذلك بين من نعرف ومن لا نعرف من الناس

ويبقى بعد هذا أن أتوجه بسؤال آخر ينتظر الجواب : لنفرض أن مخمورا أو مصدوماً توفاه الله ، فهل وافاه الأجل لأنه شرب أو صدم ، أو هل شرب أو صدم لأن الأجل وافاه ؟

وبعد : فالجواب الصحيح على سؤالنا هذا هو بعينه الجواب الصحيح على سؤالنا ذاك

الزيتون عدنان

حول محاضرة الدكتور ناجي

طالعتنا مجلة الرسالة بتعليق موجز على محاضرة الدكتور إبراهيم ناجي عن «الشعر العربي المعاصر» ، وقد كنت أحد الذين استمعوا إلى المحاضرة . ولا بد أن أشهد أن التعليق الذي نشرته «الرسالة» لم يحاول أن يكون منصفا

مثال ذلك أن يرجع حضرة الأستاذ المعقب إلى عبارات التفكه التي وردت في المحاضرة على أنها أقوال جدية ، كقول الدكتور ناجي إنه لم يوجد شاعر تافه إلا لقي في الرسالة باباً مفتوحا لشعره ، ثم حاول التعليق أن يسخر من المحاضر ، فيقول إن ناجي يعزي نفسه بأن الناس لم تحفل بشعره — لأن أكثر الشعراء الخالدين لم يفهموا في عصرهم. والواقع أن ناجي لم يذكر ذلك إلا في معرض الحديث عن الشاعر السوداني ميشيل يوسف التيجاني، وهو شاعر غير معروف ، تنبأ له المحاضر بالشهرة في المستقبل ، أما ناجي نفسه فلا أحسب أن عنده شعورا بالنقص من هذه الناحية

فقد خرج شعره عن آفاق مصر إلى حيث ترجمه المستشرقون

ويقول الأستاذ المعقب في سخرية ، إن شوقي سقط أمام ناجي ! وما الذي يعنم ؟ هل تتفوق النجاح على الشاعر أم على الشعر نفسه ؟ ؟

ثم تفتخر « الرسالة » بأنها لم تلتفت إلى « ليالي القاهرة » فهل تريد الرسالة ، وهي الصحيفة الأدبية الأولى في البلاد – أن تفتخر بإهمالها لديوان شاعر – مهما كان رأيها في هذا الشاعر ؟ ؟ وهل هذه هي سمات محبي الفن ، وأبنائه ؟

وإذا كانت هناك ثمة « عقد » بين الرسالة وبين الدكتور ناجي فإني آمل أن تحل هذه العقد ، وتتلاشى ، على الأقل حين تكون في مجال النقد الأدبي المتزن الذي تفيد منه النهضة الأدبية في البلاد

حلمي منا مقار

رجاء الى معالي الدكتور طه حسين باشا

هذه قضية عادلة نتقدم بها إلى معالي الوزير راجين أن تحظى لديه بالقبول

إن أبناء كلية اللغة العربيـــة حريصون أشد الحرص على التحاقهم بالدراسات العليا بجامعة فؤاد، ولقد حفزهم إلى ذلك شغف بالعلم وكلف به . فليسمح لهم ابن الجامعة البكر أن يتقدموا إليه بهذا الرجاء . إذ ليس من سياسته أن يحرم من العلم راغب فيه وهو الذي جعل العلم حقا للجميع كالماء والشمس والهواء . والجامعة المصرية يامعالي الباشا أسست ليلتحق بها المصريون وغيرهم كما جاء في خطاب المغفور له جلالة الملك فؤاد « إني أبتهل إليه تعالى أن يجعل هذه الجامعة نافعة لطلاب العلم عموماً ، ولشبيبتنا المصرية خصوصاً ، إذ أننا لم نقدم على هـذا المشروع الجسيم ولم نسهر الليالي بسببه إلا لترقية هذه الشبيبة التي لا يكفينا امتيازها بالذكاء والنشاط والاجتهاد . بل نرى أن يتحتم عليها أيضا أن تتحلى بفضيلتي الصبر والاستمرار لأنهما سر النجاح » فليس عجيبا بعد ذلك أن يتقدم أبناء كلية اللغة العربية إلى معاليك بهذه الأمنية وأنت الذي رأى أنه من الخير أن يسمح للأزهريين بالالتحاق بكلية الآداب بل نفذت هذه الفكرة فعلا في وقت ما

أفلا يجدر بنا أن نطمع في تحقيق أمنيتنا في هذه الآونة التي احتفلت فيها مصر بالعيد الفضي لجامعة فؤاد . ذلك فضل عظيم يضم إلى أفضالك التي لا تحصى

يامعالي الباشا : نريد أن نحلق في هذه الآفاق الرحيبة . نريد أن نلتحق بالدراسات العليا في كليـة الآداب ما دمنا مصريين نحمل مؤهلات عالية

رغبة ثانية وهي شقيقة الأولى وهي أن يتكرم معالي الباشا فيجعل لنا الحق في الالتحاق بمعهد اللغات الشرقية مادمنا متساوين مع كلية دار العلوم في اللغات الشرقية

رغبتان أكيدتان نرجو أن يتقبلهما صدر الوزير . ولن يتنافى ذلك مع ما يهمـون به من إعادة تخصصات المادة إذ أن أبناء كلية اللغة العربية يريدون أن يكون لهم الحق في الدراسات العليا في جامعة فؤاد حيث البحث المنتج وحرية التفكير والنقد على وجه الاستقلال ؛ لأن ذلك هو أساس التعليم الجامعي وليس الحفظ والتصديق لكل مايقال كما يسجل معالي السيد لطفي باشا في مقال له . فمن أراد من أبناء كلية اللغة أن يلتحق بتخصص المادة كان له ما أراد ، ومن أراد أن يتوجه إلى الدراسات العليا في كلية الآداب وجد الطريق ممهداً أمامه، وأخيراً : نأمل أن يعجل معالي الباشا بتحقيق هاتين الرغبتين

عز عمر

أين المراجع :

قرأت المقال الممتع الذي كتبه زميلي الأستاذ محمود رجب البيومي تحت عنوان : أديب يتعاظم

وقد لاحظت أن صديق الفاضل قد وعد القراء في مقدمة حديثه بذكر المراجع التي اعتمد عليها ليبرأ من التقول أمام الأستاذ محمد كرد علي — ومن العجيب أني بحثت متعمداً عن هذه المراجع في هوامش الرسالة ، وفي خاتمة المقال فلم أجد لها ظلا . فهل نسي الكاتب وعده أم أحسن الظن بجميع القراء . وهم في بعض حالاتهم لا يفطنون إلى مراجعه الدفينة في حفائر الكاتب فلعل الأستاذ يسمح بذكرها للقراء براً بوعده

محمد خالد حنفي